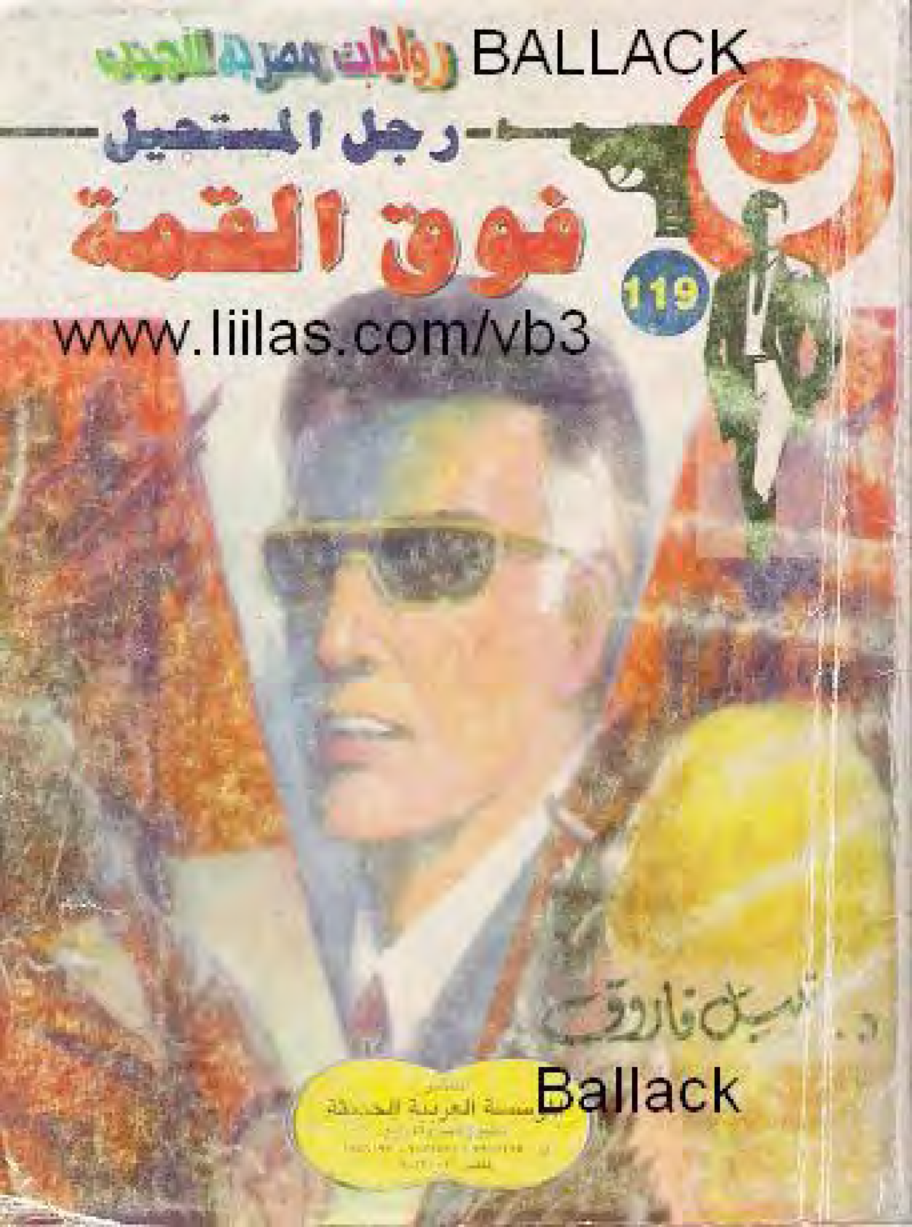


روايات مصرية للجيب
BALLACK
رجل المستحيل
فوق القمة
119
www.liilas.com/vb3
د. نبيل فاروق
Ballack
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الفخ ..

خيّم صمت رهيب، على تلك البقعة من جبال (بوليفيا)، وبدا حصن السنيورا واضحًا، تحت ضوء القمر، الذى توسّط السماء، وغمر الجبال كلها بضوئه الفضى الهادئ..

وفى حذر، تحركت تلك الفتاة بين الصخور..

كانت تعدو فى خفة مدهشة، وتثب من صخرة إلى أخرى، متخذة فى كل مرة ساترًا مدروسًا، بحيث لا يمكن أن يلمحها أحد، من رجال المراقبة فى الحصن..

وفى حزم، جذبت مشط مدفعها الآلى، و...

وفجأة، انطلقت تلك الضحكة الساخرة من خلفها..

ضحكة شيطانية قاسية مخيفة، جعلتها تستدير بأقصى سرعتها؛ لتواجه عدوتها..

السنيورا..

لم تستطع تبيُّن ملامحها فى وضوح، على الرغم من ضوء القمر، ولكنها، وعلى الرّغم من هذا، أدارت فوهة مسدسها نحوها فى سرعة، هاتفة:

- حركة واحدة ، وأنسف رأسك بلا تردد .

ولكن السنيورا أطلقت ضحكة عالية ..

ضحكة ساخرة لاذعة هذه المرة ، قبل أن تشعل سيجارتها الطويلة ، قائلة :

- ترى هل تجرئين على إطلاق النار بالفعل ؟!

قالت الفتاة فى صرامة :

- لن أتردد فى هذا .

لوحت السنيورا بقبضتها ، قائلة :

- القول سهل بالتأكيد ، ولكن تحويله إلى فعل أمر ليس بسيطًا .

صاحت بها الفتاة :

- لا تنسى أننى محترفة .

أطلقت السنيورا ضحكة أخرى ، قبل أن تميل نحوها ، قائلة فى سخرية :

- كان هذا فيما مضى .

ثم تراجعت ، وألقت سيجارتها فى أناقة ، مستطردة :

- أما الآن ..

ودون أن تكمل عبارتها ، أطلقت ضحكة أخرى عالية ، ودارت على عقبيها مبتعدة فى هدوء واثق ، فصاحت بها الفتاة :

- توقفى ، وإلا ..

سألتها فى سخرية ، وهى تواصل الابتعاد :

- وإلا ماذا ؟! هل ستلحقين بى ؟!

قالتها ، وجلجلت ضحكتها الساخرة مرة أخرى بين الجبال ..

وضغطت الفتاة زناد مدفعها الآلى ..

وضغطته ..

وضغطته ..

ولكن رصاصة واحدة لم تنطلق من مدفعها ..

وهنا ألقت المدفع جانبًا ، واندفعت إلى الأمام ؛ لتلحق بالسنيورا ..

ولكن قدميها لم تطاوعاها ..

وبكل ذعر الدنيا ، خفضت عينيها ، لتحدق فى قدميها ، اللتين انغرستا فى صخور الجبل ..

بل التحمتا بهما التحامًا ..

وصرخت الفتاة ..

صرخت بكل قوتها ، و ..

واستيقظت ..

وفى نفس اللحظة ، التى حدقت فيها فى جدران حجرتها

فى المستشفى ، اندفع زنجى ضخم إليها ، وهو يهتف بالأسبانية فى انزعاج :

- ماذا حدث يا سنيورا (جيهان) ؟!

اغرورقت عينا (جيهان) بالدموع ، وهى تشيح بوجهها عنه ، مغمغمة باللغة نفسها :

- لا شىء يا (بترو) .. لا شىء .. مجرّد كابوس .

ثم استطردت فى عصبية ، وهى تمسح دموعها بأصابع مرتجفة :

- لماذا أنت هنا ، فى هذه الساعة ؟!

أجابها الزنجى فى شىء من الحماس :

- أنا هنا لحمايتك يا سنيورا .

هتفت محنقة :

- ومن قال : إننى بحاجة للحماية ؟!

أجابها فى سرعة :

- سنيور (بليجروسو) .. لقد أمرنى بهذا(*) .

عضت شفتيها فى مرارة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فتابع (بترو) فى صوت خفيض :

(*) راجع قصة (عاشقة الجبال) .. المغامرة رقم (١١٧).

- سأجلس فى الخارج .. يمكنك استدعائى ، إذا ما احتجت لأى شىء .

قالها ، وهو يتراجع نحو الباب ، فأدارت عينيها إليه ، قائلة :

- كم الساعة الآن يا (بترو) ؟!

أجاب فى هدوء :

- السادسة وعشر دقائق يا سنيورا .

حاولت أن تبتسم ابتسامة شاحبة ، وهى تقول :

- ألم تنم بعد ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، قبل أن يقول فى تأكيد :

- سنيور (بليجروسو) أمرنى بحمايتك .

تنهّدت ، مغمغمة :

- هل تطيع كل ما يأمرك به (أدهم) ، دون مناقشة ؟!

أجاب فى حيرة :

- لقد أنقذ حياتى .

هزّت رأسها ، متمتمة بالعربية :

- ياله من وفاء نادر !

ندت منها حركة ، وكأنها تهمّ بالنهوض ، فاندفع نحوها يعاونها ، إلا أنها هتفت فى حدة :

ـ كلا .. أستطيع معاونة نفسى .

كان من الواضح أنها تبذل جهدًا عنيفًا ؛ لتجلس فى فراشها ؛ إلا أنه لم يحاول كسر عنادها وإصرارها ، فظلّ ثابتًا فى مكانه ، حتى اتخذت مجلسها ، ولاذ بالصمت ، وهى تلهث فى شدة ، بعد ما بذلته من جهد ، حتى قالت فى سخرية مريرة :

ـ يا للقدر ! أصبح الجلوس ، مجرّد الجلوس ، مغامرة غير مأمونة !

نطقتها بالعربية ، فلم يفهم منها حرفًا واحدًا ، مما جعله يكتفى بالصمت ، الذى شاركته هى إياه بعض الوقت ، قبل أن تسأل فى حذر :

ـ هل أتى (أدهم) لرؤيتى اليوم ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ سنيور (بليجروسو) رحل .

ارتفع حاجباها فى دهشة بالغة ، وهى تقول :

ـ رحل ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، فسألته فى قلق :

ـ إلى أين ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ إنه لا يفصح قط .

بدا شىء من الإحباط على وجهها ، فاستدرك فى سرعة :

ـ قال : إنه يفعل هذا من أجلك .

ارتفع رأسها بحركة حادة ، وهى تهتف :

ـ من أجلى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وراح يشير بيده ، قائلاً :

ـ نعم .. قال إنه سيكمل المهمة ، من أجلك .

تألقت عيناها بفرحة طاغية ، وهى تكرّر :

ـ من أجلى أنا ؟!

ثم تركت جسدها يسترخى على فراش المرض ، وسمحت لابتسامة بالتسلّل إلى شفتيها ، وهى تتمتم :

ـ أخيرًا فعلها .

لم تكن تدرك أنه ، فى هذه اللحظة بالذات ، كان (أدهم) يواجه خطرًا رهيبًا ، فى قلب العاصمة الاقتصادية الأولى فى العالم ..

(نيويورك) ..

فبعد عودتهم من (بوليفيا) ، ونجاح السنيورا فى الفرار ، مصطحبة طاقم العلماء ، الذين أجبرتهم على

العمل لحسابها ؛ لإنتاج كومة من القنابل الذرية ، تساعدها فى السيطرة على العالم ، راح (أدهم) يبحث عن وسيلة مضمونة ، لإفساد عملها إلى الأبد ..

وبعد دراسة مستفيضة ، وجد أن هذه الوسيلة تكمن فى تحطيم عمالقة الاقتصاد الأربعة الكبار ، الذين يمنحونها التمويل اللازم لكل عملياتها الإجرامية الضخمة ..

وبمبادرة مدهشة ، وقبل حتى أن يستقر الأمر ، انطلق (أدهم) و(منى) و(قدرى) إلى (أمريكا) ؛ لمواجهة العملاق الأوَّل فى (نيويورك) ..

رجل الأعمال الملياردير (سام أوكونور) ..

وهناك ، انتحل (قدرى) شخصية المليونير المصرى (موريس سوريال) ، وذهب لمقابلة (أوكونور) ، مع أحد رجال المخابرات المصرية ، فى نفس الوقت الذى انطلق فيه (أدهم) و (منى) ؛ للبحث عن جواب لسر كبير ، يؤرق (أدهم) طوال الوقت ..

سر (سونيا جراهام) ..

ترى هل لقيت مصرعها بالفعل ، مع ذلك الانفجار ، فى جزيرة (هيل)(*) ؟

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠)

ولو أنها نجت من الانفجار ، فهل من الممكن أن تكون هى نفسها السنيورا ؟!

وبينما يواجه الاثنان الخطر ، على جزيرة الجحيم ، كان (أوكونور) قد كشف أمر (قدرى) بخدعة شيطانية ، وأرسل رجاله خلفه ، وخلف رجلى المخابرات المصريين ، اللذين يتوليان حمايته ..

وكانت مذبحة حقيقية ..

رجلا المخابرات لقيا مصرعهما غدرًا ، و(قدرى) تم اختطافه ، ونقله إلى مكان مجهول ، بوساطة رجال (أوكونور) ، وعلى رأسهم (بيركنز) ، مساعده الأوَّل ، ذو الشعر الأحمر ..

وعندما عاد (أدهم) و(منى) من (هيل) ، بطن من الشكوك والتساؤلات ، حول السنيورا ومصيرها ، وجدا أمامهما هذا الموقف المعقَّد ، بالإضافة إلى قرار من (القاهرة) ، بإيقاف العملية على الفور ، بعد أن أكَّد الدكتور (راضى) ، أستاذ علم الاقتصاد بجامعة (القاهرة) ، أن تحطيم أربعة من عمالقة الاقتصاد والتجارة ، سوف يؤدّى حتمًا إلى انهيار اقتصادى عالمى ، قد تنسحق معه الدول النامية انسحاقًا ..

ولكن (أدهم) لم يستسلم ..

لم يكن بوسعه أن يفعل ، ما دام (قدرى) يواجه ذلك الخطر ..

لذا ، فقد قرَّر (أدهم) أن يتصدَّى للعملاق الأوَّل (سام أوكونور) ..

وبأوراق مكشوفة ..

وكان من الطبيعى أن تبدأ المواجهة بعنف ..

إلى أقصى حد ..

وعلى الرغم من أن المواجهة قد تمَّت كلها ، داخل قلعة (أوكونور) الحصينة ، إلا أن (أدهم) قاتل فى بسالة مدهشة ، حتى كتبت له النجاة بأعجوبة ..

ولأن (أوكونور) ما زال يحتفظ بـ (قدرى) ، كان من الطبيعى أن يعيد (أدهم) الكرَّة ..

وفى هذه المرة ، اختار الهبوط من هليوكوبتر ، فوق سطح (سيتاديل) ..

ولكن كانت هناك مفاجأة فى انتظاره ..

لقد سقط داخل شبكة كبيرة من الصلب ، وبرز أمامه (أوكونور) و(بيركينز) ، وعشرة من الرجال ، يصوِّبون إليه مدافعهم الآلية ، فى تحفُّز كامل ..

وكان من الطبيعى أن يطلق (أوكونور) ضحكة عالية ظافرة ، فوق قمة قلعته ..

ضحكة تعنى أن الفخ قد أطبق فكيه هذه المرة على رجل المستحيل ..

وبعنف(*) ..

★ ★ ★

« أعتقد أننى وجدت مخرجًا منطقيًا .. »

نطق الدكتور (راضى) ، أستاذ علم الاقتصاد ، هذه العبارة ، وهو يعدل منظاره الطبى فوق أنفه ، ويبتسم ابتسامة واثقة ، جعلت مدير المخابرات يسأله فى اهتمام :

ـ وما هذا المخرج ؟!

أشار الدكتور (راضى) بسبَّابته ، مجيبًا :

ـ هذا يعيدنا إلى السؤال الأوَّل : ما المطلوب بالضبط ؟! أهو تدمير الكيانات الاقتصادية للرجال الأربعة ، أم القضاء عليهم شخصيًا ؟!

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوَّل .. (الأربعة الكبار) .. المغامرة رقم (١١٨) .

همَّ المدير بإجابة السؤال ، إلاّ أن الدكتور (راضى) تابع بنفس الحماس ، وكأنه لا ينتظر جوابًا :

- المطلوب بالفعل هو القضاء على شرور العمالقة الأربعة ، دون التأثير فى الاقتصاد العالمى .. أليس كذلك ؟!

أجابه المدير ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه :

- بلى .

أشار الدكتور (راضى) بيده ، قائلاً :

- عظيم .. فى هذه الحالة يكون علينا الحفاظ على الممتلكات ، والقضاء على الأشخاص فى الوقت ذاته .

شعر المدير بشىء من الضجر ، مع ذلك الاستطراد الطويل ، فتنهَّد مغمغمًا :

- بالتأكيد .

وهنا رفع الدكتور (راضى) سبَّابته ، قائلاً فى حماس :

- لدينا إذن وسيلتان مضمونتان .

سأله المدير فى اهتمام :

- وما هما ؟!

أجابه فى سرعة :

- الوسيلة الأولى مباشرة للغاية ، وهى تتمثَّل فى القضاء على الرجال الأربعة فعليًا ، وعلى نحو يجعل الوفاة تبدو طبيعية للغاية ، إذ إن لحوادث القتل والانتحار تأثير عنيف على تقلبات بورصة الأوراق المالية ، و ..

بتر عبارته ، مع ذلك الامتعاض المستنكر ، الذى ارتسم على وجه مدير المخابرات ، وارتبك وهو يتنحنح ، مغمغمًا :

- ولكن هذا لا يتناسب مع قيمنا وتقاليدنا بالطبع .

أجابه المدير فى صرامة واضحة :

- بالطبع .

تنحنح الدكتور (راضى) مرة أخرى فى حرج ، وعدَّل منظاره الطبى ، قائلاً :

- فى هذه الحالة ، لا يتبقَّى أمامنا سوى الوسيلة الثانية .

مال المدير إلى الأمام ، يسأله فى اهتمام :

- وما هى ؟!

صمت الدكتور (راضى) لحظة ، وكأنه يستجمع أفكاره ، ثم أجاب فى حزم :

ـ انتقال الملكية .
انعقد حاجبا المدير فى تساؤل ، فاستدرك فى سرعة :
ـ أن يتم نقل ملكية تلك الإمبراطوريات الاقتصادية إلى كيانات أخرى مضمونة ، بحيث يطمئن حملة الأسهم على مستقبلهم ، بل ويسعون للحفاظ على أسهمهم ، مما يرفع قيمتها ، ويحافظ على الاقتصاد العالمى .
بدا اهتمام شديد على وجه المدير ، وهو يتراجع مرة أخرى فى مقعده ، مغمغمًا ، وكأنه يتحدث إلى نفسه :
ـ نقل الملكية ؟!
تنحنح الدكتور (راضى) مرة أخرى ، قبل أن يقول :
ـ إنها ليست عملية بسيطة أو سهلة بالتأكيد ، ولكن ..
قاطعه المدير فى حماس مفاجئ :
ـ بل هو حل عبقرى يا دكتور (راضى) .
تهللت أسارير الرجل ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!
ثم لم يلبث أن استعاد توتره ، مستطردًا :
ـ ولكن هذا سيحتاج إلى جهد رهيب ، و ...
قاطعه المدير بإشارة من يده ، قائلاً :
ـ دع هذه التفصيلات الفنية لنا .
ثم تسللت إلى شفتيه ابتسامة رصينة ، وهو يضيف فى ارتياح :
ـ ويكفى أنك قد منحتنا الوسيلة ، التى تسمح باستمرار العملية .. عملية الأربعة الكبار .
نطقها ، دون أن يدرى أن الرجل الذى يتولى العملية ، فى قلب (نيويورك) ، يواجه فى تلك اللحظة أكبرخطر فى حياته ..
فوق القمة ..

★ ★ ★

تألقت عينا (سام أوكونور) فى ظفر واضح ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، متطلعًا إلى (أدهم) فى شماتة ، فى حين اندفع (بيركينز) نحو هذا الأخير ، وصوب إليه مدفعه الآلى فى تحفز ، هاتفًا :
ـ مسدسك أيها المصرى .



ثم إن الشبكة التى تحيط به ، كانت مصنوعة من خيوط الصلب القوية ، وليس من السهل تمزيقها ..

كان (أدهم) يحمل مسدساً واحداً ، تحوى خزانته تسع رصاصات ، بالإضافة إلى المعدات البسيطة داخل حقيبته ، فى حين كانت هناك عشرة مدافع آلية مصوبة إليه ، وأصحابها متحفزون لضغط أزندتها ، عند أول بادرة مقاومة ..

ثم إن الشبكة التى تحيط به ، كانت مصنوعة من خيوط الصلب القوية ، وليس من السهل تمزيقها ، أو التخلص منها ..

لذا ، فقد بدا من الحكمة أن يناوله (أدهم) مسدسه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ خطة بارعة أيها الأوغاد .

هتف (بيركينز) فى حدة :

ـ اصمت يا هذا ، وإلا نسفت رأسك .

سأله (أدهم) ساخراً :

ـ وما الذى يمنعك من فعل هذا الآن ؟! ألم تكمل دروس إطلاق النار بعد ؟!

احتقن وجه (بيركنز) فى غضب ، وهتف :

ـ أيها الـ ..

ولكن (أوكونور) قاطعه ، قائلاً :

- ربما ترغب السيدة فى القضاء عليك بنفسها .

جذبت العبارة انتباه (أدهم) فى شدة ، فأدار عينيه نحو (أوكونور) ، الذى تابع بروح ظافرة :

- لقد كانت بعيدة النظر بحق ، عندما أخبرتنى أنك ستحاول الهبوط على القمة .. من الواضح أنها تمتلك خبرة واسعة فى التعامل معك .

وتحرك ليدور حول الشبكة ، مستطردًا فى زهو :

- إنها هى التى وضعت خطة الإيقاع بك ، فقد كانت واثقة من أنك ستسعى لمراقبتنا جيدًا ، وأن إحضار رجل بدين مخفى الوجه إلى هنا ، ستجعلك تتصور أننى قد ارتكبت تلك الحماقة ، وأحضرت رفيقك إلى قلعتى .. بل وأخبرتنى أنه كلما فعلنا هذا فى سرية بالغة ، فسيساعد هذا على إقناعك ، وسيدفعك إلى الهجوم .

قال (أدهم) فى حذر ، وهو يزن كلماته جيدًا :

- هناك ثأر طويل ، بينى وبين السنيورا .

انعقد حاجبا (أوكونور) ، وهو يقول :

- السنيورا ؟!

ثم انفجر مقهقهًا ، ليستطرد فى سخرية :

- من الواضح أنك لم تمسك بالخيوط كلها بعد يا سيد (أدهم) .

شعر (أدهم) بتوتر عنيف يسرى فى أعماقه ، مع عبارة (أوكونور) ، وتفجرت فى كيانه عشرات الأسئلة ، التى امتزجت بعضها بالبعض على نحو عجيب ..

ما الذى يقصده (أوكونور) بأنه لم يمسك بالخيوط كلها بعد ؟!

ولماذا أثار ذكر السنيورا دهشته وسخريته ؟!

ثم لماذا أشار إليها باسم السيدة ، وليس باسم السنيورا ؟!

أى سر يخفيه (أوكونور) ؟!

أى سر ؟!

« هل نطلق عليه النار يا مستر (أوكونور) ؟! »

قطع (بيركينز) أفكاره بالسؤال ، فانقبضت كل عضلة فى جسده ، وتحفز عقله لمواجهة الخطر ، لولا أن قال (أوكونور) فى صرامة :

- اصمت يا (بيركينز) .

مط (بيركينز) شفتيه فى ضيق ، فى حين قال (أدهم) فى صرامة :

- أين (قدرى) يا (أوكونور) ؟!

ارتفع حاجبا الملياردير الأمريكيِ فى دهشة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة عالية ، قائلاً :

- يا لها من صفاقة أيها المصرى ! إنك فى قبضتنا ، وأصابعنا تطبق عليك ، حتى تختنق أنفاسك ، وعلى الرغم من هذا فأنت تتحدَّث كالمنتصرين .

حاول (أدهم) أن يعتدل داخل الشبكة ، وهو يقول :

- اسمع يا (أوكونور) ، لو أنك مسست شعرة واحدة من (قدرى) ، فسأجعلك تندم على أنك مازلت على قيد الحياة .

ارتفع حاجبا (أوكونور) مرة أخرى فى دهشة ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- لقد صدقوا تمامًا فيما وصفوك به فى ملفك .

قال (بيركينز) فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

- أليس من الأفضل أن نطلق النار عليه يا مستر (أوكونور) ؟!

انفرجت شفتا (أوكونور) ، ليقول شيئًا ما ، إلا أن رنين هاتفه المحمول ارتفع فى هذه اللحظة ، فالتقطه من جيبه فى سرعة ، وضغط زر الاستماع ، قائلاً :

- (أوكونور) .

والتقى حاجباه ، وهو يستمع إلى محدِّثته فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول بابتسامة كبيرة :

- بل نجحت الخطة تمامًا .. نعم .. لقد أوقعنا به .

وصمت لحظة أخرى ، ثم قال فى توتر :

- كلاّ .. لقد تصوَّرت أنك قد ترغبين فى فعل هذا بنفسك .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وقال :

- فليكن .

قالها ، وأنهى الاتصال ، وأعاد هاتفه المحمول إلى جيبه ، وهو يتراجع ثلاث خطوات إلى الخلف ، مشيرًا بسبَّابته فى صرامة ، وقائلاً بلهجة آمرة :

- أطلقوا النار .

وتألقت عينا (بيركينز) فى ظفر ، وهو يرفع مدفعه الآلى ، هاتفًا بكل حماس :

- سمعًا وطاعة يا مستر (أوكونور) .

ودوت الرصاصات فى عنف ..

فوق القمة ..

* * *

٢- القمــــة ..

التقطت السنيورا نفسًا عميقًا من سيجارتها الرفيعة الطويلة ، ورسمت على شفتيها ابتسامة مدروسة ، وهى تتابع بعينيها تلك السيارة (المرسيدس) المصفحة ، التى عبرت بوابة المفاعل النووى السيبيرى ، ترافقها سيارة عسكرية روسية ، على نحو يشفّ عن أهمية راكبها الوحيد ، الذى تطلّع إلى المكان بنظرة طويلة ، قبل أن يغمغم :

- لقد أعادوا إليه الحياة بالفعل .. المال يفعل حقًا كل المعجزات .

توقفت به السيارة عند مدخل المبنى الإدارى ، حيث تقف السنيورا ، وأسرع سائقه يفتح الباب المجاور له ، فخرج من السيارة بحركة أنيقة ، وابتسم ، قائلاً :

- كيف حالك يا سنيورا .

كان طويل القامة ، متين البنيان ، أبيض البشرة ،

له شعر أشقر طويل ، ينسدل على كتفيه ويتجاوزهما بلا نظام ، حليق الوجه ، أزرق العينين ، يرتدى معطفًا أسود طويلاً ، يكاد يبلغ قدميه ، وحذاءً طويل العنق ، من جلد التمساح ، على نحو يشفّ عن مدى ما يتمتّع به من ثراء وفساد ذوق فى آن واحد ..

وفى هدوء مشوب بالسخرية ، تأمّلته السنيورا ، قائلة :

- تبدو متألقًا للغاية يا (مالينوفيتشى) .

أجابها فى زهو واضح ، وهو يتجاوزها إلى داخل المبنى :

- أنا دائمًا كذلك .

دلفت خلفه إلى المبنى ، وأغلقت الباب خلفهما ، وهى تسأله :

- أية رياح باردة ، ألق بك هنا ، وأقنعتك بترك أعمالك فى (موسكو) يا (مالينوفيتشى) .

أجابها فى برود :

- إننى ألقى نظرة على استثماراتى يا سنيورا .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

- وهل راق لك ما رأيته ؟!

أجاب في صرامة :

ـ إنني لم أر شيئًا بعد .

ثم التفت إليها ، مستطردًا :

ـ ولكنني أعلم أننا قد أنفقنا ثروة طائلة على هذا المشروع .

تطلعت إليه لحظة بنظرة صامتة ، ثم جلست على أقرب مقعد إليها ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، قائلة :

ـ ما الذي ترمي إليه بالضبط يا (مالينوفيتشي) ؟!

جلس على المقعد المقابل لها ، وهو يقول في صرامة :

ـ إنني أتساءل عن مصير استثماراتنا .. الجميع قلقون ، ويرغبون في الحصول على نتائج إيجابية سريعة ، وخاصة (أوكونور) .

سألته في قلق :

ـ ولماذا (أوكونور) بالتحديد ؟!

لوّح بيده ، قائلاً في حدة :

ـ لأنه يواجه ذلك الشيطان في (نيويورك) ، ومن الواضح أنه يكبده الكثير من المشاق .

انعقد حاجباها في شدة ، ونهضت من مقعدها بحركة حادة ، وألقت سيجارتها أرضًا في عنف ، ثم سحقتها بقدمها ، وأخرجت علبة سجائرها في الوقت ذاته ، لتشعل سيجارة جديدة بقداحتها الذهبية ، قائلة :

ـ منذ متى ؟!

أجابها في توتر :

ـ منذ صباح الأمس ، بتوقيت (نيويورك) .. ألم تبلغك الأخبار بعد ؟!

صمتت لحظة ، ثم قالت في صرامة :

ـ بل بلغتني بالطبع .

وصمتت لحظة أخرى ، وهي توليه ظهرها ، ثم لم تلبث أن التفتت إليه في حدة ، مستطردة :

ـ ولكنني أعتقد أن (أوكونور) وحده ليس كفئًا لمواجهته .

وافقها بإيماءة من رأسه ، وهو يقول متوترًا :

ـ هذا رأيي أيضًا .

ثم رفع رأسه ، مستطردًا :

ـ بل رأينا جميعًا .

نفثت دخان سيجارتها فى توتر ، وهى تتطلّع إليه ، فتابع :

- لقد عقدنا اجتماعًا محدودًا .. (ماسومى) و(كريستوفرسن) ، وأنا ، و ..

قاطعته فى حدة :

- وماذا عنى ؟!

تجاهل سؤالها تمامًا ، وهو يكمل :

- ورأينا بحاسة رجال الأعمال ، أن مصالحنا المالية المشتركة تحتم علينا أن نتآزر ، فى موجهة هذا الخطر الجديد .

سألته فى عصبية ، وهى تنفث دخان سيجارتها كحمم ملتهبة :

- وما شكل هذا التآزر ؟!

ضمّ قبضتيه ، مجيبًا فى حزم :

- سنقاتل كرجل واحد .

تطلّعت إليه بضع لحظات فى صمت ، ثم عادت إلى مقعدها ، ونفثت دخانها فى اتجاهه ، وهى تقول فى سخرية عصبية :

- وأية خبرة تلك ، التى تتمتعون بها ، والتى تسمح لكم بمواجهته ؟!

لوّح بقبضته ، قائلاً :

- إننا نمتلك القوة .

سألته فى صرامة :

- وماذا عن الخبرة ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- عزيزتى .. أنت تعلمين جيدًا أن المال يمكنه شراء كل شىء .. حتى الخبرة .

رفعت حاجبيها بدهشة ساخرة ، وهزّت كتفيها ، قائلة :

- حقًا !! وكم يتقاضى المحترف ، ليلقى نفسه فى قلب الجحيم ؟!

أجابها فى حدة :

- يتقاضى الثمن المناسب .

ثم نهض ، مضيفًا فى صرامة :

- وهى ليست أوّل مرة نشترى فيها الرجال ؛ ليقاتلوا من أجلنا .

كان محقًا تمامًا فى قوله ، حتى إنها بدت شديدة العصبية ، وهى تقول :

- القتال مع رجل مثل (أدهم صبرى) يحتاج إلى محترفين .

أجاب فى حزم :

ـ (نيويورك) تزخر بالكثير من المحترفين .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ بالثمن المناسب .

بدا عليها التوتر ، وهى تتطلع إليه فى غضب ، ثم لم يلبث توترها أن تلاشى تدريجيًا ، وحلّت محلّه علامات التفكير العميق لبعض الوقت ، قبل أن ترفع عينيها إليه ، قائلة :

ـ لن يمكنك هزيمته .

احتقن وجهه فى شدة ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أنها تابعت فى سرعة وحزم :

ـ ولكن يمكنكم تعطيله فى (نيويورك) ، لأطول فترة ممكنة .

انعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ ما الذى ترمين إليه بالضبط ؟!

فرقعت سبابتها وإبهامها ، مجيبة فى حماس :

ـ كسب الوقت .

ثم ألقت سيجارتها بامتداد يدها ، مضيفة :

ـ طاقم العلماء هنا بدأ العمل على الفور ، وكل شىء

كان متوافرًا تمامًا ؛ لذا فمن المحتمل أن يتم إنتاج القنبلة الذرية الأولى ، خلال ثلاثة أيام فحسب ، وما دام (أدهم) يجهل موضع هذا المفاعل ، فلا بأس من إقناعه بأننى فى (نيويورك) نفسها ، حيث سيدور القتال .

قال فى قلق :

ـ ولكن هذا سيضاعف شراسته ألف مرة !

هتفت :

ـ بالضبط ، وسيدفعه للقتال كالليث الجريح أيضًا ، مما يعنى أنه سيستنفد كل قواه هناك .

ثم لوّحت بسبابتها ، مستطردة :

ـ كل المطلوب منكم إذن هو قتاله بمنتهى العنف والشراسة ، خلال الأيام الثلاثة القادمة .

وبرقت عيناها ، وهى تضيف فى جذل :

ـ وبعدها لن تعود لقدراته المدهشة أية فائدة .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فيها بانبهار كامل ، ثم لم يلبث أن نهض ، وانحنى يطبع قبلة على وجنتها ، قائلاً :

ـ عظيم يا سنيورا .. عظيم .

ثم اتجه إلى الباب ، مستطرداً ، وهو يلوّح بيده :

ـ الآن فقط يمكننى أن أطمئن على استثماراتنا .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تتابعه ببصرها ، من خلف زجاج المدخل ، حتى انطلقت به السيارة (المرسيدس) مبتعدة ، وخلفها تلك السيارة العسكرية ، فغمغمت فى مقت :

ـ بل الآن فقط ينبغى أن تشعر بالقلق أيها المتحذلق .

نطقتها ، وعاد عقلها يفكر فى خطة مواجهة خصمها اللدود ..

الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

امتزج دوى الرصاصات بهدير مروحة الهليوكوبتر ، التى انقضّت على قمة (سيتاديل) ، و(منى) تبرز من بابها الجانبى ، وتطلق رصاصاتها فى إحكام ، هاتفة :

ـ ألم أقل لك يا (وصفى) .. كان لابد أن نعود .

أثارت رصاصاتها المباغتة ذعراً مفاجئاً ، بين (أوكونور) ورجاله ، وأصابت أحدهم فى مقتل ،

ثم نسفت الحلقة المعدنية ، التى تربط شبكة الصلب إلى الرافعة ، فهوت الشبكة بـ (أدهم) أرضاً ، و(أوكونور) يصرخ :

ـ لا .. لا تسمحوا له بالفرار .

ولكن (أدهم) لم ينتظر حتى تنتهى عبارته ..

فلم يكد جسده يرتطم بالسطح ، حتى التفّ حول نفسه فى سرعة مدهشة ، وتخلّص من أحبال الصلب فى مهارة ، قبل أن يثب كالليث ، نحو أقرب الرجال إليه ..

وكالقنبلة ، انفجرت قبضته فى فك الرجل الأوّل ، وارتفعت قدمه تركل أنف الثانى ، ثم دار جسده حول نفسه ، ليسقط الثالث والرابع ..

واندفع (بيركينز) يحتمى بمدفأة السطح ، حيث اختفى (أوكونور) ، وهو يهتف :

ـ اقتلوه .. اقتلوه يا رجال .

تراجع الرجال الخمسة الباقون فى سرعة ، ولكن رصاصات (منى) أردت أحدهم قتيلاً ، وهى تهتف :

ـ أسرع يا (أدهم) .. أسرع .

قالتها ، وهى تلقى سلماً من الحبال ، عبر نافذة

الهليوكوبتر ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الرجال الأربعة نيران مدافعهم الآلية ، نحو (أدهم صبرى) ..

وثب (أدهم) إلى الأمام ، وتدحرج على الأرض فى مرونة ؛ ليلتقط مدفعًا آليًا ، من أحد الذين سقطوا ، ويطلق النار منه فى سرعة ..

واحتمى الرجال الأربعة بالمدفأة نفسها ، و(بيركينز) يصرخ فيهم :

ـ إنه فى العراء الآن .. هيا .. انسفوه نسفًا .

وفى اللحظة نفسها ، هتفت (منى) :

ـ أسرع يا (أدهم) .. أسرع .

رفع (بيركينز) سلاحه فى سرعة ، وهو يصرخ :

ـ اصمتى أيتها اللعينة ..

وانطلقت رصاصاته نحو الهليوكوبتر ..

وهتف (وصفى) فى انزعاج :

ـ لقد أصابنا .

صاحت به (منى) :

ـ واصل الانطلاق .

كان (أدهم) يعدو بأقصى سرعته ، فى هذه اللحظة ، نحو حافة السطح ، التى يتجه نحوها سلم

الحبال ، ورصاصات رجال (أوكونور) تدوى من خلفه ، وترتطم بالأرض عند قدميه ، و(بيركينز) يطلق نيران سلاحه فى غزارة نحو الهليوكوبتر ..

وأصابت رصاصاته زجاج الهليوكوبتر الأمامى ..

ووثب (أدهم) فى اللحظة نفسها ، نحو السلم ..

ولكن (وصفى) جذب عصا القيادة بحركة آلية ..

وارتفعت الهليوكوبتر بغتة ..

ومن موقعها ، صرخت (منى) فى ارتياع :

ـ لا ..

فأمام عينيها مباشرة ، كان (أدهم) قد تجاوز سطح (سيتاديل) بوثبته القوية ، عندما ابتعد عنه سلم الحبال فجأة ..

وكان هذا يعنى أنه سيهوى بلا رحمة ..

من ارتفاع أربعين طابقًا ..

* * *

من المؤكد أن رجلاً مثل (أدهم صبرى) ؛ لم يحصل على لقب (رجل المستحيل) عبثًا ..

لقد تلقى تدريبات عديدة مكثفة ، منذ كان فى الثالثة من عمره ، وأثبت تفوقًا مدهشًا ، خلال عدد

لا حصر له من المهمات ، التى واجه خلالها أقوى أجهزة المخابرات العالمية ، وأعتى المنظمات الإجرامية ، التى عرفها التاريخ ..

وكانت انتصاراته دائمًا ساحقة ، بفضل اللّه (سبحانه وتعالى) ، وما أتقنه من مهارات ، طوال سنوات عمله الحافلة ..

كل هذا وثب إلى عقل (منى) ، فى جزء من الثانية ، عندما وثب (أدهم) وثبته القوية ، متجاوزًا سطح قلعة (أوكونور) ، فى محاولة للتعلق بسلم الحبال ، الذى يتدلى من الهليوكوبتر ..

وعندما ارتفع (وصفى) بحركة مباغتة ، لتفلت يد (أدهم) الحبل ..

وانطلقت صرخة الارتياع من حلق (منى) ، و(أدهم) يندفع جسده إلى الأمام ، محاولاً التقاط طرف السلم ..

ولكن حتى رجل المستحيل لابد أن يخضع لقانون ثابت ..

قانون الجاذبية الأرضية ..

لذا ، فقد عجزت أصابعه، وجسده يهوى ، عن التقاط طرف السلم ، الذى ارتفع مع الهليوكوبتر ..

وسقط (أدهم) ..

سقط بتلك السرعة المخيفة ..

ومن ارتفاع أربعين طابقًا ..

ومرة أخرى ، صرخت (منى) :

- لا ليس (أدهم) .

وبسرعة عجيبة ، اندفعت نحو (وصفى) ودفعت عصا القيادة إلى الأمام ، مستطردة فى هلع بلا حدود :

- إنه يسقط .

انحرفت الهليوكوبتر بحركة حادة ، وانقضت نحو السطح فى عنف ، فصرخ (وصفى) ، وهو يجذب العصا إلى أقصى اليسار :

- ماذا تفعلين أيتها المجنونة ؟!

تجاوزت الهليوكوبتر قمة ناطحة السحاب بمعجزة ، ولكن (منى) عادت تدفع عصا القيادة إلى الأمام ، صارخة :

- قلت : اهبط بها .

اتسعت عيناه فى ذعر ، عندما أدرك ما ترمى إليه ، ولكنه تخلى عن العصا تمامًا ، تاركًا زمام المبادرة بين أصابعها ، وهى تندفع بالهليوكوبتر إلى أسفل ، بأقصى سرعة ممكنة ..

كان (أدهم) يهوى بلا أمل ، فى سماء (نيويورك) ، وقد بدا له أنها النهاية لاريب ، حتى إن تاريخه كله انطلق يعدو فى ذاكرته ، مستعرضًا كل مواجهة سابقة مع الموت ..

لقد واجهه مرات عديدة للغاية ، حتى لم يعد يهابه أو يخشاه ..

بل يمكن القول بأنه قد ألفه واعتاده ..

عشرات المرات ألقى نفسه بين براثنه ، وهو يدافع عن (مصر) ، ضد كل من سعى للاعتداء عليها ، أو الإضرار بها ..

السى . آى . إيه ..

الكى . جى . بى ..

الموساد ..

المافيا ..

سكوربيون ..

وحتى السنيورا ..

وفى تلك اللحظات الأخيرة ، احتلَّت (سونيا جراهام) ذهنه على نحو عجيب ، وتفجَّرت فى عقله تساؤلات عديدة ..

تُرى أهى السنيورا حقًا ؟!

أما زالت على قيد الحياة ؟!

وماذا عن ابنه ؟!

استعاد عقله ، فى لحظة واحدة ، مشهد تلك النهاية المأساوية فى (هيل)(*) ، وانتفض قلبه فى عنف ، وهو يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

وعلى مسافة أمتار قليلة منه ، كانت (منى) تهبط بالهليوكوبتر ، بأقصى سرعة ممكنة ، وعلى نحو بالغ الخطورة ..

وكان المشهد رهيبًا بحق ..

(أدهم) يهوى من ناطحة السحاب ، والهليوكوبتر تسعى للحاق به ..

والأرض تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

« السلم يا (أدهم) .. السلم .. »

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠)

صرخت (منى) بالكلمات بكل قوتها ، وهى تواصل تلك الهبوط المخيف ، ولكن هدير مراوح الهليوكوبتر حجب صوتها تمامًا ، عن أذنى (أدهم) ..

ولكنه التقط هدير الهليوكوبتر ودويها القوى ، فأدار رأسه إليها ..

وفى لحظة واحدة ..

بل فى جزء من الثانية ، استوعب الموقف كله ..

لقد كانت الهليوكوبتر تسعى للحاق به ، قبل أن يرتطم بالأرض ..

وبسرعة مذهلة ، تحفزت عضلاته كلها ، وفرد ذراعيه عن آخرهما ، ليواجه الهواء بصدره ، فى محاولة للتخفيف من سرعة هبوطه ، كما يفعل المظليون ..

وبكل انفعال الدنيا ، هتفت (منى) :

- لقد أدرك .. (أدهم) أدرك ما تسعى إليه .

صاح بها (وصفى) :

- احترسى جيدًا ، فلو تجاوزناه أكثر مما ينبغى ، ستمزقه المروحة العلوية إربًا .

انعقد حاجباها بشدة ، عندما انتبهت إلى هذا الأمر ..

لقد كان عليها أن تستخدم أقصى مهارة ممكنة ، حتى تنجح فى إنقاذ (أدهم) ..

دون خسائر ..

وعلى الرغم من توترها البالغ ، واصلت الانخفاض بالهليوكوبتر ، ورأت جسد (أدهم) يميل نحوها ، فمالت بدورها وراح قلبها يخفق على نحو مخيف ..

واقتربت المسافة بينهما إلى أقصى حد ..

وكذلك اقترب الطريق ..

وبكل قوتها ، صرخت ، وهى تميل بزاوية بالغة الخطورة :

- الآن يا (أدهم) .. الآن .

وخفق قلب (أدهم) بدوره ، وهو يميل بجسده إلى اليسار ، ويندفع نحو الهليوكوبتر ، التى تدور مراوحها بسرعة مخيفة ..

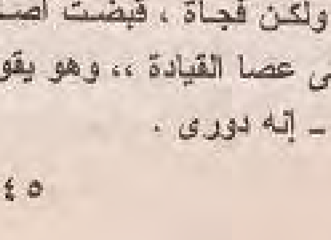
وهتف (وصفى) فى توتر :

- يا إلهى ! لن يمكنه أن ..

صرخت (منى) :

- اصمت .

ثم مالت فى عنف ، ومال نحوها (أدهم) ، وانخفضت نحوه مروحة الهليوكوبتر ، و ..



وخفق قلب (أدهم) بدوره ، وهو يميل بجسده إلى اليسار ويندفع نحو الهليوكوبتر ..

وأمسكت أصابعه قائم الباب ..

وقبضت عليه كالفولاذ ..

وصرخت (منى) صرخة مبهمة هذه المرة ، عندما رأته يدفع جسده عبر الباب المفتوح ، وسمعت (وصفى) يصرخ :

ـ مستحيل !

ومع صرخة (وصفى) ، جذبت (منى) عصا القيادة فى قوة ..

وارتفعت الهليوكوبتر مرة أخرى ..

ولكن ، مع الهبوط السريع ، وتغيير الاتجاه المفاجئ ، انحرفت الهليوكوبتر بزاوية مخيفة للغاية ، وانقضت بكل قوتها على ناطحة السحاب (سيتاديل) ..

وفى هذه المرة ، ومع تلك الزاوية الحرجة ، لم يكن هناك مفرّ من الارتطام ..

وبعنف ..

ولكن فجأة ، قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية ، على عصا القيادة ،، وهو يقول لـ (منى) فى حزم :

ـ إنه دورى .

وبحركة سريعة ماهرة ، مال بالهليوكوبتر أكثر ، وهو يحافظ على زاوية التوازن الحرجة ، حتى خُيِّل لـ (منى) و (وصفى) أنها قد انطلقت إلى أعلى عموديًا ، موازية لواجهة ناطحة السحاب تمامًا ، قبل أن تميل أكثر إلى الخلف ، وتنقلب رأسًا على عقب ، وهى تندفع مبتعدة عن المبنى ، ثم تدور حول نفسها على نحو مدهش ، لتعتدل فى سماء (نيويورك)..

ولثوان ، غلب الانبهار (منى) و (وصفى) ، فلم ينبس أحدهما بحرف واحد ، ثم لم يلبث الأوَّل أن غمغم مشدوهًا :

- يا إلهى ! إنك تستحق اللقب عن جدارة يا سيادة العميد ..

هتفت (منى) فى حرارة :

- ألم تكن تعلم هذا ؟!

ثم احتضنت عنق (أدهم) بذراعيها ، وأراحت وجنتها على رأسه ، هاتفة :

- حمدًا لله على سلامتك .

ربَّت على كفها فى حنان ، مغمغمًا :

- الفضل لك ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

- لم أكن أعلم أنك تستطيعين قيادة الهليوكوبتر بهذه المهارة ..

انطلقت من أعماقها ضحكة ، تزيح كل ما جثم على كيانها من انفعال ، وهى تقول :

- ولا أنا !

أما (وصفى) ، فقد هتف فى عصبية :

- أية مهارة ؟! لقد كادت تقتلنا جميعًا !!

أجابته فى عناد :

- ولكننى أنقذت (أدهم) ، وهذا يكفينى .

تنهَّد (أدهم) ، قائلاً فى أسى :

- (قدرى) ما زال فى قبضتهم .

أعادتهما عبارته إلى عالم الواقع بعنف ، فشملهما الوجوم لحظة ، أضاف هو خلالها :

- والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يفعلوه به الآن .

لم يجب أحدهما بحرف واحد ، فى حين لاذ هو بالصمت بدوره ، والهليوكوبتر تواصل الابتعاد عن ناطحة السحاب ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

* * *

« لا يمكننى أن أصدق هذا .. »

نطق (أوكونور) العبارة بوجه محتقن للغاية ، وهو يجلس خلف مكتبه ، داخل حجرته الواسعة ، قبل أن يهبّ واقفًا بحركة حادة ، ويضرب سطح المكتب بقبضته ، صارخًا :

ـ لقد كان فى قبضتنا بالفعل .

هزّ (بيركينز) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ إنه شيطان محظوظ .

التفت إليه (أوكونور) بحركة عنيفة ، صارخًا :

ـ محظوظ ؟!

ثم لوّح بسبّابته ، مستطردًا فى ثورة :

ـ ما رأيته على قمة (سيتاديل) ، لم يكن له شأن بالحظ يا رجل .. لقد تحرّك ذلك الشيطان وزميلته بمهارة مدهشة ، حتى إننى ما زلت أعتبر ما فعلاه أشبه بالمعجزة .

عقد (بيركينز) حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين راح (أوكونور) يتحرّك داخل حجرته ، فى عصبية بالغة ، متابعًا :

ـ سيعود .. من المؤكّد أنه سيعود .

غمغم (بيركنز) :

ـ سنكون فى انتظاره يا مستر (أوكونور) .

هتف به الرجل فى حنق :

ـ آه .. كما كنتم هذه الليلة .. أليس كذلك ؟!

قال (بيركينز) فى توتر :

ـ لقد اقترحت أن نطلق عليه النار منذ البداية .

احتقن وجه (أوكونور) أكثر ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟! هل تقصد أننى المسئول عن فراره ؟!

ارتبك ذو الشعر الأحمر ، وهو يغمغم :

ـ كلا يا مستر (أوكونور) .. لم أقصد هذا أبدًا .

صرخ (أوكونور) فى وجهه :

ـ ماذا كنت تقصد إذن ؟!

لوّح (بيركنز) بقبضته ، ثم فرد أصابعه ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن غمغم فى خضوع :

- لا شيء يا مستر (أوكونور) .. لا شيء .

تراجع (أوكونور) بعينين محمرتين ، وقال فى حدة :

- السيدة وحدها كانت على حق .. لقد طلبت منى قتله ، فور الإيقاع به ، وأخبرتنى أن أية ثانية إضافية ستعنى ، بالنسبة إليه ، فرصة جديدة للنجاة .

ثم عض شفته السفلى ، مستطردًا فى مرارة :

- والمؤسف أننى لم أستمع إليها .

قالها ، وتنهد فى عصبية بالغة ، وهو يتقدم نحو الجدار الزجاجى المطل على (نيويورك) ، ولاذ بالصمت لدقيقة كاملة ، وهو يتطلع إلى المدينة ، قبل أن يقول ، مستعيدًا حزمه وصرامته :

- أين احتفظتم بذلك البدين ؟!

أجابه (بيركينز) فى سرعة :

- فى (ثندربيرد) يا مستر (أوكونور) .

ارتفع حاجبا (أوكونور) فى دهشة ، وهو يقول :

- (ثندربيرد) ؟!

ثم التفت إليه ، متسائلاً :

- من اقترح ذلك المكان ؟!

أشار (بيركنز) إلى صدره ، قائلا :

- أنا يا سيدى .

ثم استدرك فى قلق :

- هل .. هل أخطأت بهذا ؟!

رمقه (أوكونور) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- كلا يا (بيركينز) .. لم تخطئ أبدًا .

تهللت أسارير (بيركينز) ، وهو يقول :

- حقًا يا مستر (أوكونور) ؟!

همّ (أوكونور) بقول شيء ما ، عندما ارتفع رنين هاتفه الخاص المحمول فجأة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يلتقطه من جيبه ، ويضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- (أوكونور) .

ارتسم التوتر على ملامحه ، على نحو أدرك معه (بيركينز) هوية المتحدث ، فى حين تمتم (أوكونور) بعد وهلة من الصمت :

- كلا .. لقد أفلت منا ، فى اللحظة الأخيرة .

كان من الواضح أنه يتلقى لومًا عنيفًا ؛ لأن وجهه قد احتقن فى شدة ، وهو يستمع ، قبل أن يهتف فى عصبية :

- وكيف لى أن أتخيَّل هذا ؟! لقد انقضت علينا رفيقته بالهليوكوبتر ، و ..

صمت مرة أخرى ، وعاد وجهه يحتقن فى عنف ، وهو يقول :

- اسمعينى جيدًا .. لست تلميذًا فاشلاً ، لتتحدثى إلىَّ بهذا الأسلوب الفج .. أنا أشهر وأقوى رجال المال والأعمال فى (نيويورك) كلها ، ولن ..

بتر عبارته ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يستمع إلى محدثته فى توتر بالغ ، ثم لم يلبث أن تمتم مشدوهًا :

- كيف ؟! كيف عرفت هذا ؟!

اتسعت عيناه مرة أخرى فى ارتياع ، قبل أن يقول :

- فليكن .. كلا .. سأستمع إلى كل ما تقولين .

احتقن وجهه مرة أخرى ، وهو يستمع إليها فى انتباه كامل ، ثم تنهَّد فى حرارة ، وقال :

- نعم .. نعم .. بالتأكيد .

قالها ، وأنهى المحادثة ، وبدا شاردًا للغاية ، وهو يعيد هاتفه المحمول إلى جيبه ، ويلتفت إلى الجدار الزجاجى فى صمت تام ، جعل (بيركينز) يتطلع إليه

فى وجوم لثلاث دقائق كاملة ، قبل أن يجرؤ على انتزاع الكلمات من طرف لسانه ، متمتمًا :

- ماذا هناك يا مستر (أوكونور) ؟!

ظلّ (أوكونور) على صمته لنصف دقيقة أخرى ، ثم قال ، دون أن يلتفت إلى (بيركينز) :

- المدينة ستزدحم بعمالقة الاقتصاد .

لم يفهم (بيركينز) ما يعنيه رئيسه بقوله هذا ، فقال :

- ماذا ؟!

التفت إليه (أوكونور) فى بطء ، قائلاً :

- (ماسومى) و(كريستوفرسن) ، و(مالينوفيتشى) سيصلون إلى نيويورك غدًا .

ارتفع حاجبا (بيركينز) فى شدة ، وهو يهتف بدهشة بالغة :

- بأنفسهم ؟!

أومأ (أوكونور) برأسه إيجابًا ، ولاذ بالصمت لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم عصبى :

- السيِّدة ستدير الصراع بنفسها هذه المرة .

هتف (بيركينز) مستنكرًا :

- يا للشيطان ! أىّ قول هذا ؟!
أجابه فى صرامة محنقة :
- القول الذى سيسرى على الجميع يا (بيركينز) .
قال (بيركينز) فى حيرة :
- ولكن لماذا تحتم وصول السادة بأنفسهم ؟! كان من الممكن ، والأكثر منطقية ، أن يرسل كل منهم مندوبًا ، أو ..
قاطعه (أوكونور) :
- دعك من الممكن والمنطقى الآن .. لقد انحسم الأمر ، ولم تعد مناقشته مجدية .
ثم انعقد حاجباه ، وهو يتطلع مرة أخرى إلى (نيويورك) ، مستطردًا فى صرامة :
- من الواضح أن المعركة ستتخذ أبعادًا جديدة هذه المرة ..
لم يدر لحظتها كم كان على حق فى قوله هذا ..
فمع صباح اليوم التالى ، ستتخذ المعركة بعدًا جديدًا ..
وخطيرًا ..
إلى أقصى حد .

* * *

٢- الخدعة ..

تثاقل جفنا (منى) ، من فرط الإرهاق ، وهى تلقى نظرة على ساعتها ، التى أشارت عقاربها إلى الثانية والنصف صباحًا ، قبل أن تنقل بصرها إلى (أدهم) ، الذى جلس صامتًا ، غارقًا فى لجة من الأفكار العميقة ، على ذلك المقعد المواجه لنافذة المنزل الآمن ..
كان قد تلقى رسالة شفرية عاجلة ، من القيادة فى (القاهرة) ، منذ ما يقرب من ساعة كاملة ، لم ينبس خلالها بحرف واحد ، أو يتحرك فى مجلسه هذا ، حتى ليبدو للناظر وكأنه صورة ثابتة ، فى أحد ملفات المخابرات السرية ..
وفى خفة حذرة ، اتجهت نحوه (منى) ، ولمست كتفه بأناملها ، مغمغمة :
- ألن تحظى بقليل من النوم ، قبل أن تشرق الشمس ؟!

أدار عينيه إليها فى بطء ، وتطلّع إلى الإجهاد الواضح فى ملامحها ، قبل أن يجيب :

- اذهبى أنت للنوم .. سأنتظر عودة (وصفى) .

تطلّعت إليه بدورها فى تعاطف ، قبل أن تجذب مقعدًا ، وتجلس أمامه ، قائلة :

- ما الذى يقلقك هذه المرة ؟! احتفاظهم بـ (قدرى) ؟!

أشار بأصابعه ، مجيبًا :

- هذه إحدى النقاط التى تشغلنى بالتأكيد ، فـ (قدرى) المسكين لا يمكنه احتمال تلك الضغوط العصبية طويلاً ، ولكننى واثق من أنهم لن يسعوا لإيذائه الآن ؛ لأننى قد منحتهم بالفعل كل ما يمكن أن يحاولوا انتزاعه منه .

ثم اعتدل فى مقعده ، مستطردًا فى اهتمام :

- ولكن ما يقلقنى بالفعل ، هو تلك المعلومات ، التى أرسلوها من (القاهرة) ، والتى تؤكّد أن (ماسومى) و(كريستوفرسن) ، و(مالينوفيتشى) ، فى طريقهم إلى هنا غدًا .

وعادت ملامحه تحمل علامات التفكير العميق ، وهو يتابع :

- لماذا ؟! لماذا يحضر العمالقة الثلاثة بأنفسهم هنا ؟! ما الذى يدعوهم إلى الاجتماع بـ (أوكونور) ، فى هذه الظروف بالذات ؟! لماذا لم يكتفوا بإرسال مندوبين عنهم .

قالت فى اهتمام :

- ربما لأن الأمر من الخطورة ، بحيث يحتاج إلى تواجدهم شخصيًا !

قال فى سرعة :

- وما هذا الأمر ، الذى يبلغ تلك الدرجة من الخطورة ؟! أهو مواجهتنا مع (أوكونور) ، أم أمر آخر ، مازلنا نجهل كل شىء عنه ؟!

أجابته فى اهتمام :

- أو هو مشروع السنيورا النووى .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

- بالضبط .. وأيًا كان السبب الحقيقى ، فمن المؤكّد أن ما سيتداولونه فى اجتماعهم هذا سيكون بالغ الأهمية والخطورة .

هزّت كتفيها ، مغمغمة :

- بالتأكيد .

شرد بصره بضع لحظات ، وهو يتراجع مسترخيًا فى مقعده ، فمالت نحوه ، تسأله فى اهتمام شديد :
- (أدهم) .. فيم تفكِّر ؟!
أجابها فى بطء :
- فى حضور اجتماع العمالقة .
ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تهتف :
- حضور ماذا ؟!
قبل أن يجيب ، ارتفع فجأة رنين جرس الباب ، فهبّ من مقعده ، قائلاً :
- إنه (وصفى) .
أسرع يفتح الباب ، ويستقبل (وصفى) متسائلاً :
- هل حصلت على المعلومات المطلوبة ؟!
أومأ (وصفى) برأسه إيجابًا ، وقال :
- كلها .
وأخرج من جيبه ورقة مطوية ، ناولها لـ (أدهم) ، الذى التقطها بسبّابته وإبهامه ، واتجه إلى ذلك المقعد المجاور للنافذة ، وجلس يقرؤها فى إمعان ، فى حين سألت (منى) (وصفى) :
- هل من معلومات جديدة ، حول المكان الذى يحتفظون فيه بـ (قدرى) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :
- ليس بعد .. من الواضح أنهم يكتمون هذا الأمر بشدة ؛ لثقتهم بأنه إحدى الأوراق الرابحة فى أيديهم ، والتى يمكنهم استغلالها وقت اللزوم .
تمتمت فى حنق :
- يا للأوغاد !
أشار (أدهم) بيده ، فى هذه اللحظة ، قائلاً :
- لا تقلقا بشأن (قدرى) .
ثم نهض من مقعده ، مستطردًا :
- سنستعيده قبل أن يبدأ عمالقة الشر هؤلاء اجتماعهم .
التفتا إليه فى دهشة ، وغمغمت (منى) :
- حقًّا ؟!
لم يجب تساؤلها ، وهو يلتقط مسدسه ، من فوق المنضدة القريبة ، ويدسّه فى حزامه ، ثم شدّ قامته ، قائلاً :
- أعتقد أننى سأذهب لزيارة (سام أوكونور) .
هتف (وصفى) فى دهشة مستنكرة :
- الآن ؟! ولكنه الآن فى قصره يا سيادة العميد ،

وذلك القصر أشبه بالقلعة ، أو بالحصن الحصين .. ألم تقرأ ما أوردته عن تفاصيل نظم الأمن هناك ؟!

لوّح (أدهم) بالورقة ، مجيبًا :

ـ لقد قرأت كل هذا يا (وصفى) .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يضيف :

ـ ولعل هذا ما أقنعنى بزيارته .

لم يفهم (وصفى) ما تعنيه تلك الابتسامة الغامضة ، فى حين ابتسمت (منى) ، قائلة :

ـ أراهن على أن هذه الزيارة ستحطّم أعصابه تمامًا .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الغامضة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

ثم لوّح بيده ، مستطردًا :

ـ سأعود ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) ، مع مشرق الشمس .

اتسعت عينا (وصفى) ، فى دهشة أكبر ، فى حين غمغمت (منى) :

ـ سأنتظرك .

وعندما أغلق الباب خلفه ، ترقرقت عيناها بالدموع ، وأضافت هامسة :

ـ عد من أجلى .

أما (وصفى) ، فقد ظل مشدوهًا ، يحدّق فى الباب ، الذى أغلقه (أدهم) خلفه ، وهو يتساءل فى قلق بالغ : تُرى ما الذى يسعى إليه (أدهم) بالضبط ؟!

وماذا سيفعل فى قصر (أوكونور) ؟!

بل كيف سيعبر نظم الأمن المعقّدة هناك ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

* * *

جرع (بيركينز) كأسه دفعة واحدة ، قبل أن يطلق ضحكة عالية مجلجلة ، داخل ذلك الملهى الليلى الشهير ، فى قلب (نيويورك) ، ويقول فى سخرية :

ـ لن يمكنكم تخيّل وجه مستر (أوكونور) ، عندما نجح ذلك الشيطان فى الفرار ، من قمة (سيتاديل) .. لقد احتقن بشدة ، حتى خيّل إلينا أنه سينفجر .

نفث أحد رفاقه دخان سيجارته ، قائلاً :

ـ الواقع يا (بيركينز) أننا لا نصدّق حرفًا واحدًا مما ذكرته .

انعقد حاجبا (بيركينز) ، ومطّ شفتيه فى حنق :

وهو يضمّ إليه تلك الحسناء السمراء ، الجالسة إلى جواره ، فى حين قال رفيق آخر :

ـ هذا صحيح ، فما ترويه يبدو أشبه بأفلام (ستالونى) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ إنها أمور لا تحدث فى الواقع يا رجل .

قال (بيركينز) فى حدة :

ـ ولكنه حدث ، رأيته بنفسى .

قهقه رفيق ثالث فى سخرية ، وراح يحرك كفيه فى مشهد تمثيلى ، قائلاً :

ـ رأيت بنفسك هليوكوبتر تندفع نحو الأرض ، لالتقاط شخص سقط من قمة ناطحة سحاب ؟! أتظننا مجموعة من الحمقى ، لنصدّق أمرًا كهذا ؟!

انتفض (بيركينز) واقفًا ، ودفع كأسه بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ أنتم مجموعة من الحمقى بالفعل .

انفجر رفاقه الثلاثة ضاحكين ، وهتف به أحدهم ، عندما رآه يلتقط سترته ، ويغادر المائدة :

ـ إلى أين ؟! إنها لم تتجاوز الثالثة بعد .

لوّح بيده ، وهو يلقى سترته فوق كتفه ، قائلاً :

ـ أمامى الكثير من العمل غدًا .

مال أحدهم على أذن رفيقه ، قائلاً فى سخرية :

ـ ذلك الأحمق ما زال يتصوّر أننا بالأمس .

انفجر الثلاثة ضاحكين ، وبلغت ضحكتهم مسامع (بيركينز) ، فتمتم فى سخط :

ـ حمقى .

كانت الخمر قد تصاعدت إلى رأسه ، وأدارته على نحو ما ، فهزّه فى قوة ، قائلاً لنفسه ، وهو يتجه نحو سيارته الرياضية الحمراء :

ـ هيا يا (بيركينز) .. انفضْ عن رأسك حماقات هؤلاء الأوغاد .. إنهم يعجزون عن تخيّل ما تواجهه ، وهذا أمر طبيعى .. كيف لطغمة من الحمقى مثلهم أن يواجهوا محترفين كذلك المصرى الشيطان ، الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، شعر بيد قوية ، تدفعه نحو السيارة ، وسمع صوتًا صارمًا ، ساخرًا ، يقول :

ـ ها نحن أولاء نلتقى ثانية أيها الوغد .

ميّز (بيركينز) الصوت على الفور ، على الرغم من كئوس الخمر ، التى جرعها الليلة ، واستدار

يواجه صاحبه فى سرعة ، ويده تقفز نحو مسدسه ، إلا أن قبضة (أدهم) هوت على فكه كالقنبلة ، وصاحبها يقول ساخرًا :

ـ كم يدهشنى أن حاولت .

دار رأس (بيركينز) فى شدة ، وبدت له الرؤية مهتزَّة مشوَّشة ، عندما دفعه (أدهم) نحو سيارته ، وفتح بابها الأيمن ؛ ليلقى به داخلها ، ثم دار حول مقدِّمتها فى هدوء ، ليحتلَّ مقعد القيادة ..

وفى ارتباك شديد ، غمغم (بيركينز) :

ـ كيف ؟! كيف فتحت سيارتى ؟! إنها مزوَّدة بنظام إنذار خاص ، ومن المستحيل أن ..

تجاهله (أدهم) تمامًا ، وهو يدير محرِّك السيارة ، وينطلق بها مبتعدًا ، فهتف الرجل هلعًا :

ـ مستحيل ! هذا المحرِّك لا يدار إلا بوساطة مفتاحه الأصلى فحسب .

سأله (أدهم) فى صرامة :

ـ أين (سوريال) ؟!

قاوم (بيركينز) ذلك الدوار ، الذى أحاط برأسه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لو تصوَّرت أننى سأخبرك ، فأنت ..

هوت قبضة (أدهم) على أنفه ، قبل أن يتمَّ عبارته ، فتفجَّرت منه الدماء ، وهو يصرخ :

ـ يا للشيطان ! ماذا فعلت بى ؟!

سأله (أدهم) مرة أخرى فى صرامة مخيفة :

ـ أين تحتفظون بالمصرى ؟!

صاح (بيركينز) ، وهو يحاول إيقاف نزيف أنفه :

ـ اللعنة ! لن أخبرك .. اقتلنى لو أردت ، ولكننى لن ...

قاطعه (أدهم) بلكمة أخرى ، حطَّمت إحدى أسنانه الأمامية ، فصرخ :

ـ ماذا تفعل بى ؟!

ضغط (أدهم) فرامل السيَّارة بكل قوته ، فاندفع (بيركينز) إلى الأمام فى عنف ، وارتطم وجهه بالتابلوه الأمامى ، فصاح متألمًا فى حنق ، وهو ينتزع مسدسه من حزامه :

ـ إنك تقتلنى .. ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟!

أمسك (أدهم) معصمه بأصابع فولاذية ، وهو يقول فى صرامة :

- أريد أن أرسل معك رسالة خاصة إلى (أوكونور) .

قالها ، وهو يلوى معصم (بيركينز) فى قوة ، ليجبره على إفلات مسدسه ، ثم يلتقطه بيسراه فى خفة ، فهتف هذا الأخير فى عصبية :

- أية رسالة لعينة هذه ؟!

ضمّ (أدهم) قبضته ، مجيبًا :

- ها هى ذى ..

وهوى بقبضته على فك (بيركينز) كصاعقة ساحقة ..

وفى هذه المرة اتسعت عينا (بيركينز) عن آخرهما ، ثم هوى رأسه إلى الخلف فاقد الوعى ..

وكان هذا هو كل ما ينشده (أدهم) .. بالضبط ..

★ ★ ★

« الثالثة والنصف ، وكل شىء على ما يرام .. »

ردّد أحد أفراد طاقم الحراسة الخاص ، فى قصر (سام أوكونور) العبارة ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود ، وهو يدير عينيه فى حديقة القصر الواسعة ، فأتاه صوت أحد مراقبى شاشات الرصد ، وهو يقول :

- كل شىء يبدو لدينا أيضًا على ما يرام .

غمغم الحارس :

- عظيم .

أزالت عبارة المراقب الكثير من توتر الحارس ، الذى تلقى - كالجميع - أوامر صارمة ، من الملياردير الأمريكى ، بضرورة تشديد ومضاعفة الحراسة فى تلك الليلة بالتحديد ، فارتكن إلى سور الحديقة ، وأشعل سيجارته ، وهو يقول لزميله :

- ترى ماذا أصاب مستر (أوكونور) الليلة ؟! إنه يتصرّف كما لو أن شيطانًا يطارده !!

هزّ زميله كتفيه ، قائلاً :

- ربما كان لهذا صلة بما حدث فى (سيتاديل) صباح أمس .

وافقه الحارس بإيماءة من رأسه ، وقال :

- لا يوجد تفسير آخر .

ثم نفث دخان سيجارته فى عمق ، قبل أن يضيف :

- ولكن الحراسة هنا دقيقة بالفعل .. الأسوار عالية مكهربة ، ونحن أكثر من دستة من الحرّاس ، فى الحديقة المحيطة بالقصر ، بالإضافة إلى آلات المراقبة ،

الموزّعة فى كل مكان .. إننى أعتقد أنه ما من حشرة ، يمكنها أن تدخل إلى هنا ، دون أن نعلم بأمرها .

أجابه زميله بابتسامة باهتة :

ـ بالتأكيد .. حتى الـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيناه فى ارتياع واضح ، فهتف به الحارس :

ـ ماذا دهاك يا رجل ؟!

أشار زميله بسبّابته ، نحو بوّابة القصر الرئيسية ، هاتفًا :

ـ السيارة .. انظر .

أدار الحارس عينيه فى سرعة ، إلى حيث يشير زميله ، واتسعت عيناه فى دهشة مذعورة ، عندما رأى سيارة رياضية حمراء ، تنقضّ على البوابة الرئيسية ، وهتف :

ـ يا للشيطان ! ما الذى ..

قبل أن يكمل سؤاله ، ارتطمت السيارة بالبوّابة فى عنف ، فانطلقت منها شرارات كهربية عنيفة ، مع دوى صفارات الإنذار ، التى انطلقت فى كل مكان ، فانتزع الحارس نفسه من توتره ، وانطلق يعدو مع رفيقه نحو البوّابة ، وهو يهتف :

ـ ستوقظ صفارات الإنذار مستر (أوكونور) .. اللعنة ! يبدو أننا لن نحظى بمكافآت خاصة هذا الشهر .

كان قد بلغ البوّابة ، مع نهاية هتافه ، فمال يحدّق فى راكب السيارة الرياضية الحمراء ، قبل أن يهتف مشدوهًا :

ـ إنه مستر (بيركينز) !! ترى ماذا أصابه ؟!

لم يكد يتمّ تساؤله ، حتى أتاه صوت (أوكونور) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود ، وهو يسأل فى عصبية :

ـ ماذا يحدث عندكم ؟! لماذا انطلقت صفارات الإنذار ؟!

ضغط الحارس زر الاتصال ، وهو يجيب فى توتر :

ـ إنه مستر (بيركينز) .

هتف (أوكونور) فى دهشة مستنكرة :

ـ (بيركينز) ؟! وماذا يفعل (بيركينز) هنا الآن ؟!

وأضاف فى عصبية شديدة :

ـ ثم لماذا انطلقت صفارات الإنذار ؟!

أجابه الحارس فى سرعة :

ـ لقد ارتطمت سيارة مستر (بيركينز) بالبوابة الرئيسية ، وهذا ما أطلق صفارات الإنذار ، وهو فاقد الوعى داخلها ..

ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يسأل قلقًا :

ـ ماذا نفعل يا مستر (أوكونور) ؟!

صاح به (أوكونور) فى حدة :

ـ أوقفوا تلك الصفارات اللعينة أولاً ، ثم أدخلوا (بيركينز) .. أريد أن أعرف ما أصابه .. هيا .. أسرعوا .

أجابه الحارس ، وهو يندفع نحو صندوق الأمن ، المثبت على سور القصر :

ـ كما تأمر يا مستر (أوكونور) .

وفتح الصندوق بمفتاح خاص ، ثم جذب ذراعًا صغيرة إلى أسفل ، ليفصل التيار الكهربى عن الأسوار ، وبعدها فتح البوابة ، وتعاون مع زميله على دفع سيارة (بيركينز) إلى الداخل ، قبل أن يعيد الحارس التيار الكهربى إلى الأسوار ، ويقول لزميله :

ـ أدر محرك السيارة ، ودعنا ننقله إلى القصر .

ولم تمض دقيقة واحدة على هذا القول ، حتى كانا

يتعاونان لنقل (بيركينز) إلى أريكة كبيرة ، فى حجرة مكتب (أوكونور) ، الذى بقى فى مكانه ، يتطلع إلى (بيركينز) الفاقد الوعى فى غضب ، قبل أن يشير إلى الحارس ، قائلاً بلهجة صارمة آمرة :

ـ أيقظه .

التقط الحارس كوبًا من الماء البارد ، وسكبه على وجه (بيركينز) ، الذى انتفض فى عنف ، وهبَّ جالسًا على الأريكة ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟! هل ذهب ؟!

سأله (أوكونور) فى صرامة :

ـ من فعل بك هذا ؟!

حدَّق (بيركينز) فى وجهه لحظة ، وكأنه لم يستوعب السؤال ، ثم لم يلبث أن هتف ، وهو يلوِّح بذراعيه فى انفعال :

ـ إنه ذلك الشيطان المصرى .. لقد فاجأنى ، عند خروجى من الملهى .

هبَّ (أوكونور) من مقعده ، وهو يسأله فى حدة :

ـ ما الذى أخبرته به ؟!

هتف (بيركينز) :

- لا شىء يا مستر (أوكونور) .. لم أخبره بأى شىء .. أقسم لك .

عقد (أوكونور) كفيه خلف ظهره ، قائلاً فى صرامة :

- ولكنه ألقى عليك بعض الأسئلة بالتأكيد .

لوّح (بيركينز) بيده ، قائلاً فى توتر :

- سؤال واحد لاغير يا مستر (أوكونور) .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً :

- أين أخفينا (سوريال) الزائف ؟!

انعقد حاجبا (أوكونور) ، وهمّ يقول شىء ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتفه الخاص فجأة ، فالتفت إليه بحركة حادة ، مغمغماً فى عصبية :

- من ذا الذى يتصل ، فى مثل هذه الساعة ؟!

والتقط الهاتف المحمول بحركة حادة ، وضغط زر الاتصال ، وهو يضعه على أذنه ، قائلاً :

- أوكونور .

ازداد انعقاد حاجبية فى شدة ، وهو يستمع ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

- أجهزة الإنذار انطلقت فى قصرى ؟! نعم .. هذا



سأله (أوكونور) فى صرامة :
- من فعل بك هذا ؟!

ما حدث بالفعل .. هل وضعت من يراقب قصرى ، ويبلغك بما يحدث ، أولاً فأولاً ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم قال فى غضب :

- إنك تتجسسين علىَّ ، وهذا لا يروق لى أبدًا .

مال (بيركينز) إلى الأمام ، وكأنه يحاول سماع حديث الطرف الآخر ، فى حين استمع (أوكونور) فى توترٍ لبعض الوقت ، قبل أن يقول فى عصبية :

- كلا .. إنه (بيركينز) .. لقد هاجمه رجل المخابرات المصرى ، وحطم أنفه وبعض أسنانه ، ثم ترك سيارته ترتطم بالبوابة الرئيسية ، و ...

كان من الواضح أنها قد قاطعته على نحو ما ، إذ بتر عبارته بغتة ، وارتفع حاجباه فى دهشة واضحة ، قبل أن يعودا للانعقاد فى شدة ، وهو يلقى نظرة على (بيركينز) ، مغمغمًا :

- ولكن هذا أمر مستحيل .

استمع مرة أخرى فى توتر شديد ، ثم تنهد فى عصبية ، قائلاً :

- كلا .. كلا .. سأتخذ كل الإجراءات اللازمة .

أنهى المحادثة ، وهو يتطلع إلى (بيركينز) فى اهتمام بالغ ، فسأله هذا الأخير فى قلق :

- ماذا هناك يا مستر (أوكونور) ؟!

صمت (أوكونور) بضع لحظات ، وهو يواصل التطلع إليه ، ثم قال فى بطء ، وهو يجلس خلف مكتبه :

- إنها السيدة .

تمتم (بيركينز) ، فى شىء من الحذر :

- حقًا ؟!

أومأ (أوكونور) برأسه إيجابًا ، وتطلع إليه لحظة أخرى فى صمت ، قبل أن يقول :

- لقد ذكرتنى بأمر بالغ الأهمية ، ألا وهو أن ذلك الشيطان المصرى بارع فى فن التنكر إلى درجة مذهلة .

بدت حركة متوترة ، من (بيركينز) ، و(أوكونور) يتابع :

- بارع إلى الحد الذى يمكن معه أن ينتحل شخصيتك مثلاً ، دون أن أنتبه أنا نفسى إلى هذا .

غمغم (بيركينز) ، فى لهجة متحفزة :

- ماذا تقصد يا مستر (أوكونور) ؟!

أخرج (أوكونور) يده ، حاملة مسدسًا ضخمًا ،

صوّبه إلى رأس (بيركينز) مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أقصد أن لعبتك قد فشلت هذه المرة ، يا مستر (أدهم) .

تراجع (بيركينز) فى دهشة ، فى حين انتزع الحارس وزميله مسدسيهما فى حركة آلية ، وصوّباهما إلى (بيركينز) ، الذى هتف فى عصبية :

ـ ماذا يحدث يا مستر (أوكونور) ؟!

هبّ (أوكونور) من مقعده ، واتجه نحوه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا تحاول يا مستر (أدهم) .. السيّدة أخبرتنى أن هذا هو التفسير الوحيد لما حدث .. لقد هاجمت (بيركينز) ، وانتحلت شخصيته ، حتى يمكنك دخول قصرى ، على الرغم من كل إجراءات ونظم الأمن .

هتف (بيركينز) :

ـ مستر (أوكونور) .. إنك ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انقضّ عليه (أوكونور) ، وجذب شعره فى قوة ، هاتفًا :

ـ انزع هذا الشعر المستعار ، و ..

جاء دوره ليبتر عبارته ، وهو يحدّق فيه بدهشة بالغة ، مغمغمًا :

ـ (بيركينز) ؟!

تأوّه الرجل ، هاتفًا :

ـ بالتأكيد يا مستر (أوكونور) .. إنه أنا .. ماذا أصابك ؟!

تراجع (أوكونور) فى ارتباك ، وحدّق فى وجهه مرة أخرى ، مغمغمًا :

ـ لا شىء يا (بيركينز) .. لا شىء ..

ثم أدار بصره إلى الحارسين ، هاتفًا فى عصبية :

ـ أعيدا مسدسيكما إلى غمديهما .

أعاد الحارسان مسدسيهما فى سرعة ، وأوّلهما يقول فى توتر :

ـ كما تأمر يا مستر (أوكونور) .. كما تأمر .

انعقد حاجبا (أوكونور) فى شدة ، حتى انصرف الحارسان ، ثم التفت إلى (بيركينز) ، قائلاً :

ـ ما الذى يسعى إليه ذلك الشيطان بالضبط ؟!

هزّ (بيركينز) كتفيه ، وقال فى توتر :

ـ لست أدرى يا مستر (أوكونور) .. لست أدرى .

عقد (أوكونور) كفيه خلف ظهره ، وراح يدور فى حجرة مكتبه ، مغمغمًا :

- هناك سر حتمًا ، خلف كل هذا .. إنه لن يهاجمك هكذا ، بعد ثلاث ساعات من تلك المواجهة العنيفة ، على قمة (سبتاديل) ، إلا لهدف ما .

توقف صامتًا لبضع لحظات ، استغرق خلالها فى تفكير عميق ، قبل أن يلتقط هاتفه الخاص ، ويطلب رقمًا ما ، وما إن سمع صوت محدثته ، حتى قال فى توتر :

- إنه لم ينتحل شخصية (بيركينز) .

صمت بضع لحظات ، وهو يستمع إليها فى اهتمام ، ثم قال فى عصبية :

- لقد حاولت ، ولكننى لم أتوصل إلى شىء ما ..

وعاد إلى الصمت والاستماع مرة أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

- نعم .. هذا أفضل .. بالتأكيد .. سأبقيه هنا ، حتى اجتماعنا غدًا .

وأنهى الاتصال ، ثم التفت إلى (بيركينز) ، قائلاً فى حزم :

- ستقضى ليلتك هنا .

ارتفع حاجبا (بيركينز) فى دهشة ، وهو يقول :

- ولماذا ؟!

أجابه فى صرامة :

- لأن هذا ما تقتضيه الحكمة .. لقد اتفقنا أنا والسيدة ، على أن ذلك الشيطان المصرى يهدف إلى شىء ما ، من مهاجمتك ، وإرسالك إلى هنا ، على هذا النحو ؛ لذا فلا ينبغى أن نمنحه فرصة الانفراد بك ثانية .. ستبقى هنا ، حتى اجتماع الغد .. ليس لدينا أدنى استعداد للمخاطرة الآن .

بدت علامات عدم الارتياح ، على وجه (بيركينز) ، إلا أنه لم يملك سوى أن غمغم :

- أوامرك يا مستر (أوكونور) .

تركه (أوكونور) ، وغادر حجرة مكتبه ، وهو يقول لرئيس طاقم حراسته فى صرامة :

- لا تتهاونوا لحظة واحدة ، فى الحراسة والمراقبة الليلة .. إننى أتوقع ضربة أخرى .. أطلقوا النار مباشرة ، عند أول شعور بالشك .

وراجع بنفسه إجراءات الأمن والمراقبة ، وتأكد

من أن الجميع فى غاية اليقظة والانتباه ، قبل أن يتجه إلى حجرة نومه الخاصة ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ مازلت أتساءل .. ما الذى يسعى إليه ذلك المصرى بالضبط ؟ ولماذا هاجم (بيركينز) ؟!

غمغم بالعبارة الأخيرة ، وهو يدلف إلى حجرة نومه ، و ...

« ستحصل على كل الأجوبة أيها الوغد .. »

انتفض جسد (أوكونور) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى ارتياع ، مع اشتعال المصباح المجاور لفراشه بغتة ، ليكشف ذلك الرجل ، الجالس على طرف فراشه ، والذى يصوِّب إليه مسدسه فى هدوء ساخر ..

وكان من الطبيعى أن يهوى قلب الملياردير الأمريكى بين قدميه ..

هذا لأن ذلك الرجل ، الذى اخترق كل نظم واستحكامات الأمن ، ووصل إلى حجرة نومه الخاصة ، لم يكن سوى (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

★ ★ ★

٤ـ ليلة بلا نهاية ..

استمع رجال المخابرات العامة المصرية إلى مديرهم ، فى اهتمام بالغ ، وهو يشرح لهم آخر تطورات الموقف فى (نيويورك) ، وما توصَّل إليه الدكتور (راضى) ، أستاذ علم الاقتصاد ، حول وسيلة تدمير العمالقة الأربعة الكبار ، الذين يمولون مشروعات السنيورا ، دون الإضرار بالاقتصاد العالمى ، ثم استطرد المدير ، وهو يشير بيديه ، محاولاً توضيح الموقف أكثر :

ـ باختصار أيها السادة ، لقد وجدنا الوسيلة ، من الناحية النظرية ، ولكن علينا أن نبحث الآن عن أفضل الطرق ، لتحويل هذه النظرية إلى واقع عملى .

سأله أحد الرجال فى اهتمام :

ـ ألديك فكرة محدودة يا سيِّدى ؟!

أجاب المدير فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم نهض من مقعده ، متابعًا ، وهو يدور حول مائدة الاجتماعات :

ـ السؤال الذى شغلنى ، عند سماعى للفكرة ، لم يكن الوسيلة ، بقدر ما كان الجهة ، التى يمكن أن ننقل إليها ملكية ذلك الكم الهائل ، من الشركات والمؤسسات ، التى يمتلكها عمالقة الاقتصاد الأربعة .. إننا لا نستطيع إنشاء شركة جديدة ، تظهر فى عالم المال لأوّل مرة ، وتنقل إليها ملكية هائلة كهذه ، لأن هذا سيجذب الأنظار ، ويثير الشكوك إلى أقصى حد .. لا بد إذن أن نعثر على شركة لها تاريخ سابق ، ويمكننا أن نثق بها تمامًا ، بحيث تتم خطتنا من خلالها .

سأله أحد الرجال فى حيرة :

ـ وأين يمكن أن نجد شركة كهذه ؟! هل نبحث عن إحدى الشركات المصرية مثلاً ؟!

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاّ .. لا نريد ربط اسم (مصر) بهذا الأمر ، بأى حال من الأحوال ، تحسبًا لأية تطورات مستقبلية غير متوقّعة .

تبادل الرجال نظرة قلقة ، قبل أن يسأل أحدهم :

ـ وما البدائل الأخرى ؟!

توقف المدير ، وأجاب فى حزم :

ـ مؤسسة مكسيكية ، لها استثمارات عديدة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ويمكننا أن نثق بها ثقة عمياء .

هتف أحد رجال المخابرات فى حماس :

ـ (أميجو صاندو) .

أشار إليه المدير ، قائلاً :

ـ بالضبط .

وعاد يتحرّك ، ويدور حول المائدة ، مستطردًا :

ـ فمؤسسة (أميجو) هذه ملك للعميد (أدهم صبرى)(*) ، وهى تستثمر جزءًا كبيرًا من أموالها داخل الولايات المتحدة الأمريكية .

قال أحدهم ، فى شىء من الضيق :

ـ ألم يكن من الأفضل أن يستثمر سيادة العميد (أدهم) أمواله هذه فى (مصر) ، بدلاً من استثمارها فى (أمريكا) ؟!

(*) راجع قصة (لمسة الشر) .. المغامرة رقم (٨٥) .

أجابه المدير :

ـ لا يوجد فارق يا رجل ، ما دام الأمر يجرى لصالح (مصر) فى كل الأحوال ، فلقد عرض العميد (أدهم) استثمار أمواله فى (مصر) بالفعل ، ولكننا رأينا أن وجوده داخل عالم المال والأعمال الأمريكى سيكون أكثر فائدة لنا ، خاصة وأنه يصدِّر معظم منتجاته إلينا ، بأقل سعر ممكن ، كما أن حجم استثماراته يتيح له الإقامة هناك طوال الوقت ، طبقًا للقوانين الأمريكية(*) ، وكنا واثقين من أن هذا سيفيدنا حتمًا ذات يوم ، كما حدث الآن .

وعاد يجلس فى مقعده ، على قمة المائدة ، وهو يتابع فى حماس :

ـ إذن فعلينا أن نضع خطة محكمة ، لنقل ملكية استثمارات عمالقة الاقتصاد الأربعة ، إلى مؤسسة (أميجو) .

هزّ أحد الرجال رأسه ، قائلاً :

ـ لن يكون هذا بالأمر السهل .

(*) تمنح قوانين الهجرة الأمريكية كل العلماء ، والمبدعين ، وكبار رجال المال والأعمال ، حق الإقامة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأولوية الحصول على الجنسية الأمريكية عند طلب هذا .

أجابه المدير فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم تراجع فى مقعده ، مستطردًا :

ـ وهذه مهمتنا أيها السادة .

وارتسم الحزم واضحًا ، فى صوته وملامحه ، وهو يضيف :

ـ أن نجعل المستحيل ممكنًا .. وبأى ثمن .

ومرة أخرى ، تبادل الرجال نظرة صامتة ..

وفى هذه المرة ، كانت نظرتهم تحمل الكثير .. والكثير جدًا ..

* * *

لنصف دقيقة كاملة أو يزيد ، وقف (أوكونور) عند باب حجرته ، ذاهلاً مذعورًا ، يحدّق فى فوهة المسدس ، المصوّبة إليه ، وفى ابتسامة (أدهم) الساخرة ، قبل أن ينهار جالسًا ، على أقرب مقعد إليه ، وهو يغمغم بصوت مختنق :

ـ كيف ؟!

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، فاستطرد (أوكونور) فى انهيار :

- كيف وصلت إلى هنا ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- لم يكن هذا بالأمر العسير .

مال (أوكونور) إلى الأمام بشدة ، حتى كاد يسقط على وجهه ، وهو يهتف بصوت شاحب مبحوح :

- لم يكن ماذا ؟! إننى أستخدم أحدث تكنولوجيا ؛ لحراسة قصرى ، مع أفضل أطقم الحراسة ، بضمان واحدة من أكبر شركات الأمن هنا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- أتقصد شركة (سيتاديل) للأمن ؟!

لوّح (أوكونور) بذراعه كلها مرتين ، وهو يحاول انتزاع الكلمات من حلقه فى صعوبة ، ثم لم يلبث أن هتف مختنقًا :

- إنها أفضل شركات الأمن هنا .

قال (أدهم) فى صرامة :

- هراء .

احتقن وجه (أوكونور) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، من فرط القهر والانفعال ، فاستعاد (أدهم) ابتسامته الساخرة ، وهو يتابع :

- لو أن رجال أمنك محترفون بحق ، لما كنت هنا الآن .. فى حجرة نومك .

أطلّ تساؤل عصبى يائس ، من عينى (أوكونور) ، فواصل (أدهم) بنفس السخرية :

- عندما ارتطمت سيارة مساعدك الوغد (بيركينز) ، ببوّابة قصرك الرئيسية ، انطلقت صفارات الإنذار على الفور ، وكان من المنطقى أن يتم إيقاف سريان التيار الكهربى فى الأسوار ، لفتح البوّابة ، كما جذب ذلك اهتمام الكل ، وأنت منهم ، لشاشات الرصد ، التى تنقل صورة ذلك الاضطراب الأمامى ، لذا فقد كان من السهل أن أتسلّل أنا من الخلف ، وأصل إلى هنا ، قبل أن يمكنكم استيعاب الموقف بأكمله .

ارتجفت شفتا (أوكونور) ، وهو يلوّح بسبّابته فى الهواء ، محاولاً قول شىء ما ، إلا أنه لم يجد ما يقوله ، سوى :

- اللعنة !

ففى أعماقه ، لم يكن هناك مفرٌّ من الاعتراف بقدرات (أدهم) وعبقريته ..

لقد استخدم وسيلة بسيطة ..
وناجحة ..
للغاية ..
وهنا تكمن العبقرية الحقيقية .
البساطة مع الفاعلية ..
وتضاعف احتقان وجه الملياردير الأمريكى أكثر ..
وأكثر ..
وأكثر ..
وبصوت فارق حلقه فى صعوبة ، غمغم :
- ماذا تريد منى ؟! ما الذى ترغب فى فعله بى ؟!
أجابه (أدهم) فى صرامة مخيفة :
- الأفضل لك أن نكتفى بالسؤال الأول ، الخاصُ بما أريده منك أيها الوغد ، فلو طاوعت رغبتى الشخصية بشأنك ، لكنت الآن مجردُ جثة باردة ، يُزيِّنها ثقب فى منتصف جبهتها .
سرت ارتجافة مذعورة فى جسد (أوكونور) ، فى حين مال (أدهم) إلى الأمام ، مستطردًا فى صوت قاس ، ولهجة يجمد لها الدم فى العروق :
- أين (سوريال) ؟!

كاد (أوكونور) يفقد الوعى من شدة الذعر ، إلا أن طبيعته الاقتصادية ، جعلته يزدرد لعابه ، ويغمغم :
- وماذا ستمنحنى بالمقابل ؟!
جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، قائلاً :
- ماذا عن حياتك ؟!
جفَّ لعاب (أوكونور) ، حتى إنه استنفر كل إرادته ، ليقول فى عصبية :
- اسمع يا مستر (أدهم) .. كل منا يحتاج إلى الآخر بالتأكيد .. أنا أريد منك أن تبتعد عن حياتى ومؤسساتى ، وأنت تريد استعادة زميلك ، فلِمَ لا ..
قاطعه (أدهم) :
- أين (سوريال) ؟!
ازدرد (أوكونور) ما تبقَّى من لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :
- عندى .
ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ساخرة ، وهو يكرِّر :
- عندك ؟! يا له من جواب !
ثم نهض من الفراش بحركة حادة ، وفرد يده

الممسكة بالمسدس عن آخرها ، مستطردًا بصرامة مباغتة :
- قل لى أيها الوغد : أيهما تفضل ؟! قلبك أم رأسك ؟!
تراجع (أوكونور) ، هاتفًا :
- مستر (أدهم) .. إننى ...
تابع (أدهم) بنفس الصرامة ، وكأنه لم يسمعه :
- لا أعتقد أن القلب يعنى لك شيئًا .. هذا لو أنه ما زالت له بقايا فى جسدك .. فليكن الرأس إذن .
نطق كلمته الأخيرة ، وهو يرفع فوهة مسدسه ، لتواجه جبهة (أوكونور) تمامًا ، فصرخ هذا الأخير :
- لا يا مستر (أدهم) .. لا .
ثم وثب من مقعده بغتة ، واندفع نحو الباب ، وقفز يضرب قائمه براحته ، مستطردًا :
- لن تفلت بهذا قط .
انطلقت صفارات الإنذار مرة أخرى فى المكان ، فانعقد حاجبا (أدهم) فى غضب ، وهو يتجه نحوه ، قائلاً :
- أيها الوغد .
التصق (أوكونور) بالجدار ، ولوّح بذراعيه ، صارخًا :

- لا يا مستر (أدهم) .. إننى لم أقصد شيئًا .. كنت أدافع عن حياتى فحسب .. إننى ...
وقبل أن يكمل عبارته ، انقضّت قبضة (أدهم) على فكه كالقنبلة ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ..
ثم هوى فاقد الوعى ..
وفى هدوء بالغ ، وعلى الرّغم من صفارات الإنذار ، التى تدوى فى كل مكان ، أعاد (أدهم) مسدسه إلى غمده ، وأزاح جسد (أوكونور) جانبًا بقدمه ، ثم غادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ..
وبكل هدوء ..

★ ★ ★

تنهّدت (منى) فى حرارة ، وهى تلقى نظرة متوترة على ساعتها ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة والنصف صباحًا ، قبل أن تعتدل جالسة على طرف فراشها ، مغمغمة فى عصبية :
- ومن يمكنه النوم ؟!
ثم غادرت حجرتها إلى صالة المنزل ، حيث جلس (وصفى) يراجع بعض بيانات الكمبيوتر ، فى اهتمام

بالغ ، وألقت نفسها على أحد المقاعد المجاورة له ، متسائلة :

ـ هل من معلومات جديدة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ صفارات الإنذار انطلقت مرتين الليلة ، فى قصر (سام أوكونور) .

اعتدلت بحركة حادة ، هاتفة فى انزعاج :

ـ مرتين ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى سرعة :

ـ ولكنهم لم يظفروا بالعميد (أدهم) .

بدا الارتياح على ملامحها ، وعادت تسترخى فى مقعدها ، مغمغمة :

ـ هذا أمر طبيعى .

أشار إلى الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ لقد أرسلت كل المعلومات إلى (القاهرة) ، عبر قناة الاتصال السرية المؤمَّنة ، على شبكة (الأنترنت) ، ووصلتنى الآن رسالة خاصة منهم ، بشفرة سرية للغاية ، موجَّهة إلى سيادة العميد (أدهم) شخصيًا .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط أحد أزرار

الكمبيوتر ، فبدأت الطابعة الملحقة به عملها على الفور ، وبرزت منها ورقة مطبوعة ، التقطها وناولها لـ (منى) ، التى انعقد حاجباها ، وهى تلقى عليها نظرة فاحصة ، لا تخلو من الدهشة ، على الرغم من كونها فتاة مخابرات محترفة ..

فقد كانت تلك الورقة ، تحمل عدة أسطر باللغة الغراية ، هى خليط من الأحرف العربية والإنجليزية ، واليونانية ، مع عدد من الأرقام ، الموزَّعة بين الأحرف ، على نحو يبدو وكأن طابعة الكمبيوتر قد أصابها خلل ما ، ولم تعد تدرى ما تفعله ..

وفى شىء من التوتر ، تمتمت (منى) :

ـ أظن (أدهم) وحده يمكنه فهم هذا .

وافقها (وصفى) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

ثم تراجع فى مقعده ، يسألها فى اهتمام :

ـ ما الذى تعتقدين أنه يفعله ، فى قصر (أوكونور) ؟!

هزَّت رأسها ، قائلة :

ـ لن نعرف أبدًا ، قبل أن يخبرنا هو .

صمت لحظة ، مطَّ خلالها شفتيه ، وتنهَّد ، قائلاً :

- (سام أوكونور) ليس بالرجل السهل .. إنه أقوى شخص في (نيويورك) كلها ، بعد الأب الروحي للمافيا بالطبع ، وأذرعته تنتشر في كل مكان ، حتى إنهم يقولون : إنه قادر على العثور على أية نملة ، تجرؤ على انتزاع ذرة سكر واحدة منه ، حتى ولو اختفت في أبعد سراديب مترو الأنفاق .

ابتسمت ، قائلة :

- دعه يحاول .

ارتفع حاجباه ، وهو يقول في دهشة :

- هل تثقين بسيادة العميد (أدهم) إلى هذا الحد ؟!

شرد بصرها بضع لحظات ، وابتسامة حالمة تتسلل إلى شفتيها ، قبل أن تجيب في صوت خافت ، وكأنها تستعيد أسعد ذكريات حياتها :

- لو أنك عملت إلى جواره طويلاً مثلي ، لما ألقيت سؤالاً كهذا .. لقد واجهنا معًا مخاطر شتى ، تفوق ما تراه بكثير ، وتصدينا لعمالقة أكبر من (أوكونور) هذا ألف مرة ، ولكنه أذاقهم أمرّ الهزائم ، وبأبرع وسائل يمكنك تخيلها .

ظلّ يتطلّع إليها في صمت ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، قائلاً :

- لهذا اجتمعوا من أجله إذن !!

أشارت بسبابتها ، مغمغمة :

- لا يمكنك أن تستبعد هذا الاحتمال .

مال إلى الأمام ، قائلاً في اهتمام قلق :

- ولكن اجتماع هؤلاء العمالقة الأربعة ليس بالأمر السهل .. إن كلا منهم يمثل قوة رهيبة ، بما له من نفوذ وأموال واتصالات ، حتى إن البعض يدعى أن ثروة الواحد منهم تكفي لإدارة دولة صغيرة ، فما بالك بقوتهم مجتمعين ؟!

شرد بصرها مرة أخرى ، وهي تقول :

- سيكون هذا رهيبًا بحق .

سألها في قلق واضح :

- وهل تعتقدين أن العميد (أدهم) يمكنه مواجهتم جميعًا ؟!

صمتت بضع لحظات ، قبل أن تنهض من مقعدها ، وتتجه نحو النافذة ، قائلة :

- لو أنني في موضعه ، لاستخدمت معهم اللعبة الاستعمارية الشهيرة .

سألها فى حيرة :
ـ أية لعبة ؟!
أجابته فى سرعة :
ـ فرّق تسد .
سألها مبهوراً :
ـ وهل يمكنه هذا ؟!
هزّت كتفيها ، قائلة :
ـ بالنسبة لشخص فى قدراته ، لن يكون هذا مستحيلاً .
وتطلّعت عبر النافذة لحظة ، قبل أن تستطرد :
ـ يكفى أن يبذر عدم الثقة أو الشك بينهم .
سألها فى اهتمام شديد :
ـ وكيف يمكنه هذا ؟!
تصفّحت عقلها فى سرعة ، بحثًا عن جواب ، ثم لم تلبث أن هزّت كتفيها ، مجيبة :
ـ سيجد وسيلة ما .
وعادت تلقى نظرة على المدينة النائمة ، قبل أن تضيف فى توتر :
ـ المهم أن يظلّ على قيد الحياة ، حتى يفعل هذا .
نطقتها ، وقلبها يخفق بين ضلوعها فى قوة ..

فعلى الرّغم من كل الثقة ، التى تحملها له ، كان هناك جزء من كيانها يرتجف من أجله ، ويتساءل فى أعماقها بلا انقطاع ..
ترى أين (أدهم) الآن ؟!
أين ؟!

★ ★ ★

« لم نعثر له على أدنى أثر .. »
نطق (بيركينز) بالعبارة فى توتر شديد ، وهو يقلب كفيه فى حيرة ، أمام (أوكونور) ، الذى أمسك رأسه بيده فى ألم ، وهو يهتف فى عصبية :
ـ ماذا تعنى بأنكم لم تعثروا على أدنى أثر له ؟! لقد كان هنا ، داخل حجرة نومى ، عندما أطلقت الإنذار ، فكيف غادر القصر كله دون أن تشعروا به ؟!
هزّ (بيركينز) رأسه فى حيرة ، قائلاً :
ـ لست أدرى يا مستر (أوكونور) .. لقد سمعنا جميعًا صفارة الإنذار ، وأسرعنا ننتشر فى القصر كله ، خلال دقائق معدودة ، وأضأنا كل الأنوار ، وراقبنا شاشات الرصد ، والأسوار ، وكل مكان آخر ، ولكنه لم يكن هنا .. لقد تبخر .. تلاشى .. ذهب وكأنه لم يكن سوى حلم ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وتنحنح لحظة ، ثم مال نحو (أوكونور) ، قائلاً :
ـ معذرة يا مستر (أوكونور) ، ولكن ألا يحتمل أنك قد استغرقت فى النوم ، ثم كان هذا الكابوس الـ ...
قاطعه (أوكونور) فى ثورة :
ـ كابوس ؟! أى كابوس أيها الغبى ، الذى يصنع كدمة كهذه ؟!
تراجع (بيركينز) مغمغمًا فى ارتباك :
ـ معذرة يا مستر (أوكونور) .. لم أكن أقصد شيئًا بالتحديد .
لوّح (أوكونور) بسبابته فى وجهه ، هاتفًا :
ـ اسمع يا (بيركينز) .. أريد منكم أن تقلبوا كل شبر فى القصر ، بحثًا عن ذلك الشيطان .. إنه هنا حتمًا ، ما دامت شاشات المراقبة لم تسجّل فراره ، أو ...
تنحنح (بيركينز) ، وهو يقاطعه ، قائلاً :
ـ آه .. بخصوص آلات المراقبة .. احم .. أقصد أن ...
احتقن وجه (أوكونور) فى شدة ، وهو يصرخ فيه :
ـ تقصد ماذا يا أحمر الشعر ؟! ماذا حدث ؟!

ارتبك (بيركينز) ، وهو يجيب :
ـ الواقع أن ... أنه قد حدث خلل مؤقّت ، فى آلات المراقبة ..
صرخ (أوكونور) :
ـ خلل مؤقّت ؟!
هتف (بيركينز) :
ـ إنه لم يستغرق وقتًا طويلاً .. لقد توقّفت الآلات لدقيقة واحدة فحسب ، ثم عادت تعمل بكل كفاءة .
صاح (أوكونور) ، وهو يلوّح بذراعيه فى ثورة :
ـ ومن الطبيعى أن التيار الكهربى قد انقطع عن الأسوار أيضًا ، فى الفترة نفسها .. أليس كذلك ؟!
ارتسمت ابتسامة مرتبكة ، على شفتى (بيركينز) ، وهو يهرش شعره الأحمر ، مغمغمًا :
ـ احم .. كيف أمكنك استنتاج هذا يا مستر (أوكونور) .
احتقن وجه (أوكونور) فى شدة ، حتى بدا وكأنه سينفجر ، قبل أن يصرخ فى عنف :
ـ اغرب عن وجهى أيها الغبى ، قبل أن ...
قاطعه رنين هاتفه المحمول المباغت ، فضمّ شفتيه فى شدة ، وقال بصوت مختنق ، وهو يلتقط الهاتف :



هزّ (بيركينز) كتفيه ، دون أن يجيب ، فى حين ضغط (أوكونور) زر جهاز الاتصال ، وهو يضع الهاتف على أذنه . .

- إنها هى حتمًا .

هزّ (بيركينز) كتفيه ، دون أن يجيب ، فى حين ضغط (أوكونور) زر جهاز الاتصال ، وهو يضع الهاتف على أذنه ، قائلاً :

- (أوكونور) .

وكالمعتاد ، لاذ بالصمت التام ، وهو يستمع إلى محدثته فى اهتمام بالغ ، قبل أن يقول فى عصبية مفرطة :

- الرجل أذكى مما تتصورين بكثير يا سنيورا .. لقد وصل إلى حجرة نومى ، بخدعة عبقرية ، وجرأة مدهشة ، ثم عبث بالكمبيوتر المركزى هنا ، ليوقف عمل كل أجهزة الأمن ، خلال دقيقة كاملة ، استغلها ليتجاوز هؤلاء الحمقى ، الذين أحيط بهم نفسى ، ويغادر المكان كله فى أمان .

وصمت مرة أخرى ، ليضيف فى حدة :

- لقد فتشنا القصر كله مرتين ، ولم نعثر له على أدنى أثر .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- أجهزة تنصت ؟! كلا .. لم يخطر هذا ببالنا بالفعل .

وهزّ رأسه ، مستطردًا :

- اطمئنى .. سأتخذ كل الإجراءات اللازمة .. نعم .. اجتماعنا سيتمّ فى موعده بالضبط ..

وأنهى المحادثة ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ، ليفكّر فى عمق شديد ، قبل أن يلتفت إلى (بيركينز) ، قائلاً :

- استعد يا رجل ، فسننتقل إلى (هيلتون) (مانهاتن) .. سنقضى ليلتنا هناك .

بدت الدهشة على وجه (بيركينز) ، وهو يسأله :

- لماذا يا مستر (أوكونور) ؟!

أشار الملياردير بذراعه ، قائلاً :

- المكان هنا لم يعد آمناً .

واكتسى صوته بالصرامة ، وهو يستطرد :

- وأنا أحتاج إلى منتهى الأمان ، حتى ينتهى اجتماع الغد على الأقل .

قالها بلهجة توحى بأن اجتماع الغد هذا من أهم وأخطر اجتماعاته ..

بل أخطرها على الإطلاق ..

إنه الاجتماع ، الذى سيتحدّد فيه المصير ..

مصير العالم كله .

★ ★ ★

٥- العمالقة ..

عضّ (قدرى) شفتيه فى توتر بالغ ، داخل تلك الحجرة المعدنية الصغيرة ، التى عجز فراشها عن استيعاب جسده الضخم ، فراح يدور داخلها كالأسد الحبيس ، قبل أن يلقى نظرة عبر نافذتها المستديرة الصغيرة ، ويهتف :

- لا .. لن يمكننى احتمال هذا .

قالها ، واندفع نحو الباب المعدنى الصغير ، ودقّه بقبضتيه ، صارخاً :

- أيها الأوغاد .. لا يمكنكم أن تتركونى هنا .. لن يمكننى احتمال هذا طويلاً .

أتاه صوت غليظ من الخارج ، يقول فى حدة :

- اخلد إلى النوم أيها البدين .. إنها السادسة صباحاً .

صاح (قدرى) فى غضب :

- وكيف يمكننى النوم ؟!

وربَّت على كرشه الضخم ، مستطردًا فى أسى محنق :

- إننى أكاد أتضوَّر جوعًا .

هتف صاحب الصوت الغليظ فى حدة :

- تتضوَّر جوعًا ؟! لقد تناولت وجبتى طعام حتى الآن !

صاح (قدرى) :

- وجبتان ؟! أتسمى تلك الشطائر الصغيرة وجبتين ؟! إنها لا تكفى حتى لوجبة إفطار .

كان من الواضح أن صاحب الصوت الغليظ يتميَّز غضبًا ، وهو يهتف :

- وجبة إفطار ؟! عشر شطائر ضخمة لوجبة إفطار واحدة ؟!

قال (قدرى) فى حنق :

- لكل قدراته يا صاح .

ضرب الرجل الباب بكعب مدفعه الآلى ، صائحًا بكل غضب الدنيا :

- نم أيها البدين الشره .. نم ، قبل أن أفقد أعصابى ، وأتجاهل أوامر مستر (أوكونور) ، وأفرغ رصاصات مدفعى فى جسدك الضخم .

صاح (قدرى) فى حدة :

- الموت بالرصاصات أهون من الموت جوعًا .

أطلق صاحب الصوت الغليظ زمجرة غاضبة ، قبل أن يبتعد عن الباب ، صارخًا :

- يا للشيطان ! كم أتمنى قتله .

دق (قدرى) الباب بقبضته ثانية ، وهو يهتف :

- ماذا ستفعل ؟! هل ستتركنى جائعًا هكذا ؟!

لم يتلقَّ جوابًا هذه المرة ، فهتف محنقًا :

- ماذا عنى ؟!

كان من الواضح أن الرجل قد انصرف عنه ، فتراجع عن الباب ، مغمغمًا فى سخط :

- لماذا لم يقتلونى فحسب .. إننى لا أحتمل الجوع هكذا .

اقترب مرة أخرى من النافذة ، وتطلَّع إلى الأفق ، الذى بدا أشبه بلوحة فنية رائعة ، والشمس تبدأ شروقها ، من خلف المحيط ، الممتدّ إلى ما لا نهاية ، ثم تنهَّد ، متمتمًا :

- ترى أين (أدهم) الآن ، لماذا لم يصل إلىَّ بعد ؟!

وانطلق ذهنه يسترجع أحداث اليوم السابق ،

فى سرعة مذهلة ، قبل أن يتوقف عند السؤال نفسه ، وقد عاد الخوف يتسلل إلى أعماقه ، وينسيه حتى نداء الجوع ..

ترى ما الذى يفعله (أدهم) الآن ؟!

وأين هو ؟!

أين ؟!

★ ★ ★

« استيقظ يا مستر (أوكونور) .. استيقظ .. »

انتفض جسد (أوكونور) فى عنف ، عندما التقطت أذناه العبارة ، وهبَّ جالسًا على طرف فراشه ، وهو يهتف :

ـ ما .. ماذا حدث ؟!

تراجع (بيركينز) فى ارتباك ، قائلاً :

ـ لا شىء يا مستر (أوكونور) .. لم يحدث شىء .. إنها السابعة والنصف ، ولقد طلبت منى إيقاظك الآن .

غمغم (أوكونور) :

ـ السابعة والنصف ؟!

ثم هزَّ رأسه فى قوة ، متسائلاً فى توتر :

ـ متى تصل طائرات السادة ؟!

أجابه (بيركينز) فى سرعة :

ـ السيِّد (ماسومى) وصل بالفعل ، فى السادسة والنصف ، واستقرَّ فى جناحه هنا ، والسيِّد (كريستوفرسن) سيصل بعد نصف الساعة ، ولقد تم إعداد جناحه بالفعل ، أما السيِّد (مالينوفيتشى) ، فسيصل فى التاسعة ، وسيقيم مع رجاله فى قصره هنا .

مطَّ (أوكونور) شفتيه ، قائلاً :

ـ كم أبغض ذلك الروسى المتعجرف .

هزَّ (بيركينز) كتفيه ، دون أن يجيب ، فنهض (أوكونور) من فراشه ، وسأله فى صرامة :

ـ هل انتهى الرجال من فحص القصر ؟!

أجابه (بيركينز) :

ـ نعم يا مستر (أوكونور) .. لقد استخدموا أحدث أجهزة الكشف الإليكترونية ، وفحصوا كل الحجرات ، ولكنهم لم يعثروا على أية أجهزة تنصُّت .

انعقد حاجبا (أوكونور) ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! ما الذى فعله ذلك المصرى فى قصرى إذن ؟!

هزّ (بيركينز) كتفيه ، متمتمًا :
ـ من يدرى ؟!
تنهّد (أوكونور) فى توتر ، وهزّ رأسه فى قوة ، ثم سأله بنفس الصرامة :
ـ وماذا عن البدين ؟!
قال (بيركينز) ، فى شىء من الحذر :
ـ (سوريال) ؟!
هتف به (أوكونور) فى حدة :
ـ ألدينا غيره ؟!
تنحنح (بيركينز) ، قائلاً :
ـ إنه ما زال فى موضعه .. هل ترغب فى نقله إلى مكان آخر يا مستر (أوكونور) ؟!
صمت (أوكونور) لحظة ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه نفيًا ، وقال :
ـ كلاّ .. لن نجد أفضل من (ثندر بيرد) .
وافقه (بيركينز) بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :
ـ بالتأكيد .
أشار إليه (أوكونور) بيده ، وهو يقول بلهجة آمرة متعالية :

ـ انتظر فى الخارج ، حتى أرتدى ملابسى ، وإياك أن تغمض عينيك لحظة واحدة .. هل تفهم ؟!
تثاءب (بيركينز) فى إرهاق واضح ، وقال فى استسلام :
ـ كما تأمر يا مستر (أوكونور) .. كما تأمر .
بدا عليه التبرم واضحًا ، وهو يجلس مع رجلى الحراسة الآخرين ، فى حجرة الانتظار ، الملحقة بجناح (أوكونور) ، حتى إن أحد الرجال سأله مبتسمًا :
ـ هل أرهقك مرة أخرى ؟!
لوّح (بيركينز) بيده ، قائلاً :
ـ لقد اعتدت هذا .
ثم مال يلتقط الهاتف الخاص برئيسه ، وراح يعبث به ، مكملاً :
ـ إننا نتقاضى أجورنا لنحتمل كل ما يفعله مستر (أوكونور) .
أتاه صوت الملياردير الأمريكى ، وهو يقول فى غلظة صارمة :
ـ وليس لتعبث بمتعلقاته الشخصية يا (بيركينز) .

هبَّ (بيركينز) من مقعده مذعوراً ، وناوله هاتفه المحمول فى ارتباك شديد ، مغمغماً :

ـ احم .. إننى لم أقصد هذا يا مستر (أوكونور) .. إننى ...

قاطعه (أوكونور) فى غلظة ، وهو يلتقط هاتفه :

ـ فى المرة القادمة سأقطع يدك هذه ، لو لامست هاتفى الخاص .

تمتم (بيركينز) فى اضطراب :

ـ بالتأكيد يا مستر (أوكونور) .. بالتأكيد .

همَّ (أوكونور) بإعادة الهاتف إلى جيبه ، عندما انطلق رنينه فجأة ، فانعقد حاجباه ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ (أوكونور) .

كان من الواضح أنها محدثته التقليدية نفسها ، فقد استمع إليها فى انتباه شديد ، قبل أن يقول فى بطء ، وكأنه يستوعب معلومة جديدة :

ـ الحادية عشرة .. بالتأكيد .. آه .. فكرة عبقرية .. نعم .. لا يمكن لأحد كشف أمرنا هناك .. بالتأكيد .

وأنهى المحادثة على الفور ، وهو يلتفت إلى رجاله الثلاثة ، قائلاً بصوت يفيض ثقة وارتياحاً وظفراً :

ـ تلك السيدة عبقرية بالفعل .. لقد قررت عقد الاجتماع فى مكان ، لا يمكن أن يصله سوانا .

سأله (بيركينز) فى اهتمام :

ـ أين ؟!

ابتسم (أوكونور) ، وهو يجيب بلهجة غامضة :

ـ فى حينه يا (بيركينز) .. ستعرف كل شىء فى حينه .

قالها ، واتسعت ابتسامته ، وانتقل إليها غموض لهجته ، على نحو يوحى بأن ذلك الاجتماع ، الذى ستحضره السيدة ، مع العمالقة الأربعة ، سيتمّ عقده فى مكان غير تقليدى ..

على الإطلاق ..

* * *

« الثامنة بالضبط .. »

نطقتها (منى) ، وهى تتطلع إلى ساعتها فى اهتمام ، قبل أن تلتفت إلى (وصفى) ، مستطردة :

ـ المفترض أن يصل (كريستوفرسن) الآن .

أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ إننى أنتظر تأكيد رجلنا فى (جى . إف . كيه .)(*) .

أومأت برأسها مؤيدة ، وهى تلتقط مسدسها ، وتسحب خزانته لتلقى نظرة عليها ، ثم تعيدها إلى المسدس فى حركة عنيفة ، جعلت (وصفى) يتطلع إليها ، متسائلاً :

ـ ماذا بك ؟!

أجابته فى عصبية ، وهى تضع المسدس فى حقيبتها الصغيرة :

ـ لست أشعر بالارتياح .

سألها فى حيرة :

ـ لماذا ؟! المفترض أن كل شىء يسير على ما يرام .

أجابت فى حدة :

ـ حقًا ؟! وماذا عنى ؟!

تضاعفت حيرته ، وهو يسأل فى حذر :

ـ ماذا عنك ؟!

(*) (جى . إف . كيه) : أشهر وأكبر مطار مدنى فى الولايات المتحدة الأمريكية كلها ، ويوجد فى (نيويورك) ، واسمه ينسب إلى (جون فيتزجيرالد كيندى) (١٩١٧ ـ ١٩٦٣ م) ، الرئيس الخامس والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية ، والذى تم اغتياله فى مدينة (دالاس) ، فى ولاية (تكساس) .

لوّحت بذراعها ، هاتفة :

ـ إننى لم آت إلى (نيويورك) ، لأقضى يومى هنا ، حبيسة منزل آمن فى (مانهاتن) .

قال فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. أنا أيضًا لا أميل للجلوس هنا ، ولكن دورنا يقتضى الانتظار ، فى هذه المرحلة ، حتى تتضح الأمور ، وتصدر أوامر أخرى .

هتفت فى حنق :

ـ ممن ؟!

أجاب فى دهشة :

ـ من سيادة العميد (أدهم) بالطبع .

صاحت مختنقة :

ـ وأين هو (أدهم) ؟!

ارتفع حاجباه لحظة ، فى دهشة أكبر ، ثم لم يلبثا أن انخفضا ، وهو يبتسم فى هدوء ، مغمغمًا :

ـ آه .

التفتت إليه بحركة حادة ، هاتفة :

ـ ماذا تعنى ؟!

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ لست أعنى شيئًا .. كل ما قلته مجردّ حرف واحد .
قالت فى عصبية :
ـ ولكنه يعنى ما تخفيه فى أعماقك .
تنهّد ، قائلا :
ـ كنت أظنك تثقين بمقدرة سيادة العميد (أدهم) كثيرًا .
هتفت :
ـ إننى أثق به بالطبع .
ثم ارتجفت شفتاها ، وهى تضيف فى أسى :
ـ وأخشى عليه أيضًا .
لوّح بكفه ، قائلاً :
ـ إنهم لم يظفروا به بعد .
قالت فى مرارة :
ـ ولكننا لا ندرى أين هو ، ولا ماذا يفعل الآن !
تراجع فى مقعده ، قائلاً :
ـ دعينا نمنحه ثقتنا ، و ...
قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق صوت خافت من الكمبيوتر ، فالتفت إليه فى سرعة ، قائلاً :
ـ إننا نستقبل معلومات .

اتجهت إلى الكمبيوتر فى خطوات سريعة ، وهى تغمغم :
ـ ربما وصل (كريستوفرسن) ، أو ...
قبل أن تتمّ عبارتها ، هتف (وصفى) فى حماس :
ـ إنه سيادة العميد .
هتفت فى انفعال :
ـ حقًا ؟!
تابع الاثنان تلك المعلومات ، التى تراصت فى سرعة ، على شاشة الكمبيوتر الصغير ، قبل أن تهتف (منى) مرة أخرى فى حماس :
ـ لقد توصلّ إلى موقع (قدرى) .
أضاف (وصفى) فى اهتمام :
ـ وحدّد موعد اجتماع العمالقة .
التقى حاجبا (منى) فى اهتمام ، وهى تتابع رسالة (أدهم) ، ثم لم تلبث أن تمتمت فى فرحة واضحة :
ـ لقد أسند إلينا مهمة إنقاذ (قدرى) .
غمغم (وصفى) ، فى صوت يوحى بالقلق :
ـ هذا صحيح .
التفتت إليه ، تسأله فى حذر :

- هل يزعجك هذا ؟!
أجابها فى سرعة ، دون أن يرفع عينيه عن الكمبيوتر :
- بالتأكيد .
ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :
- ولكنها ليست أوّل مرة تواجه فيها موقفًا كهذا .
التفت إليها ، قائلاً :
- لقد أسأت فهم مقصدى .
ثم اعتدل ، مستطردًا فى اهتمام :
- إننا نعلم جميعًا ، ودون أدنى شك ، عمق العلاقة ، التى تربط سيادة العميد (أدهم) بالأستاذ (قدرى) ، والتى لا يتورّع بسببها أحدهما ، عن التضحية بحياته من أجل الآخر ، وعلى الرغم من هذه العلاقة الفريدة ، ومن أن العميد (أدهم) قد كشف موقع (قدرى) بالفعل ، إلا أنه لم يهرع على الفور لإنقاذه ، كما هو متوقّع ، وإنما أسند إلينا هذه المهمة ، فما الذى يعنيه هذا ؟!
غمغمت ، وقد انتقل إليها قلقه :
- يعنى أن أمامه مهمةً أخرى .

قال فى سرعة :
- بل مهمة أكثر خطورة .
ثم مال إلى الأمام مضيفًا فى حزم :
- أكثر أهمية وخطورة ، من إنقاذ (قدرى) ، أهم وأقرب أصدقائه .
نجحت كلماته فى بث الخوف والقلق فى نفسها ..
نعم .. أية مهمة تلك ؟!
وأى هدف ؟!
وفى بطء متوتّر ، غمغمت :
- سيفعلها .
سألها فى حيرة وفضول :
- سيفعل ماذا ؟!
أشارت إلى الشاشة ، مجيبة بصوت يشف عن خطورة الموقف :
- سيحضر اجتماع العمالقة .
استدار (وصفى) فى حركة حادة ، إلى شاشة الكمبيوتر ، وظلّ يحدّق فيها لبضع ثوان ، قبل أن يهتف بكل مشاعره :
- كيف ؟!

ولم تجب (منى) سؤاله قط ..

هذا لأن أعماقها كلها انفجرت بالكلمة نفسها .

كيف سيفعلها (أدهم) ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

★ ★ ★

رسم (أوكونور) على شفتيه ابتسامة مغتصبة ، وهو يصافح (كريستوفرسن) ، قائلاً :

ـ مرحبًا بك فى مدينتى يا (جون) .. مضت فترة طويلة ، منذ التقينا آخر مرة .

ابتسم (كريستوفرسن) ابتسامة ضخمة ، تتناسب مع بدانته الواضحة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لم يكن لقاءً جيدًا حينذاك يا (سام) .

قهقه (أوكونور) بضحكة تفوح منها رائحة الظفر والزهو ، وهو يقول :

ـ أما زلت تشعر بالغضب ، لفوزى بصفقة الزهور تلك يا رجل ؟! رجل الأعمال الحقيقى لا يجب أن يتوقف كثيرًا ، أمام أمر كهذا .. إنها ثلاثة ملايين دولار فحسب .

هزّ (كريستوفرسن) رأسه ، ودسّ سيجارًا ضخمًا بين شفتيه ، وهو يقول فى لهجة جافة ، لا تحمل شيئًا من الود :

ـ لقد نسيت بالفعل يا رجل .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وسار إلى جواره ، فى ممر الفندق ، متسائلاً :

ـ ألم يكن من اللياقة أن تستقبلنى بنفسك فى المطار ؟!

هزّ (أوكونور) كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما ، ولكن الحكمة تقتضى تكثيف إجراءات الأمن إلى أقصى حد ، وخاصة مع وجود ذلك المصرى هنا .

سأله فى استنكار :

ـ ألم تقض عليه بعد ؟!

انعقد حاجبا (أوكونور) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الأمر ليس بهذه السهولة يا رجل .. لقد قرأت ملفه مثلى ، وكلانا يعلم أن أقوى أجهزة المخابرات ، لم تنجح فى القضاء عليه ، أليس كذلك ؟!

هزّ (كريستوفرسن) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- هراء .. هراء .. كلكم تتحجّجون بهذا ، لأنكم عجزتم عن الظفر به .

أطلق (أوكونور) زفرة ، دون أن يجيب ، فتابع (كريستوفرسن) فى غطرسة :

- لو أنه وطأ (استراليا) بقدميه ، لما أمكنه أن يخطو فيها خطوة واحدة ، دون أن يسمح له (جون كريستوفرسن) بهذا .

كانا قد بلغا جناح الاسترالى ، فالتفت إليه (أوكونور) ، يصافحه فى ضجر ، قائلاً :

- مرحباً بك يا (جون) .. هيا .. احصل على قدر من الراحة ، واستعد للذهاب إلى مقر الاجتماع .. هيا .

وربّت على كتفه مرتين فى قوة ، قبل أن يطلق زفرة عصبية أخرى ، ويبتعد عنه فى خطوات سريعة ، فلحق به (بيركينز) ، قائلاً :

- من الواضح أنك لا تطيقه يا مستر (أوكونور) .

أجابه الملياردير الأمريكى فى حدة :

- كلهم مملون متغطرسون يا (بيركينز) .. كلهم ..

ثم لوّح بذراعيه فى حنق ، مستطردًا :

- غرورهم كعمالقة اقتصاد ، جعلهم يتصوّرون أنهم قادرون على فعل أى شىء يتصوّرونه ، ولكن الواقع أنه لا خبرة لديهم إطلاقًا فيما يدّعونه .. ذلك الوغد (كريستوفرسن) هذا ورث إمبراطوريته الضخمة عن أبيه ، ولا يدرى شيئًا عن كيفية صنعها ، و(ماسومى) هذا لم يلتقط أنفاسه ، ويحتلّ موقعه فى عالم المال والاقتصاد ، إلا بعد مصرع (فاكو يوشيدا) ، منافسه الأقوى ، فى صناعة الإلكترونيات الدقيقة(*) ، أما (مالينوفيتشى) المتغطرس هذا ، فهو مجرّد ناشىء ، صنعته الظروف السياسية والاجتماعية ، وانقلاباتها العنيفة ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ، وانهيار كيانه الاقتصادى .

غمغم (بيركينز) :

- ولكن (ماسومى) و(مالينوفيتشى) لهما صلات قوية بالمافيا اليابانية والروسية ، وهذا يمنحهما شيئًا من القوة .

توقّف (أوكونور) بغتة ، والتفت إليه فى دهشة ، قائلاً :

(*) راجع قصة (اغتيال) .. المغامرة رقم (١١٠) .

- من أين لك بهذه المعلومات ؟!

رفع (بيركينز) حاجبيه ، قائلاً :

- أنا أيضًا أقرأ يا مستر (أوكونور) .

ابتسم الملياردير فى سخرية ، مغمغمًا :

- حقا ؟!

هرش (بيركينز) رأسه فى توتر ، مغمغمًا :

- هل أخطأت يا مستر (بيركينز) ؟!

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلا :

- هذا أمر طبيعى .

ثم واصل مسيرته ، مستطردًا :

- المهم أن تلك الأخطاء لا تصطدم بمصالحى .

لم يكن قد خطا خطوتين بعد ، عندما حدثت ضجة واضحة ، عند جناح (كريستوفرسن) ، فاستدار مع (بيركينز) فى سرعة ، ورأيا اثنين من حراس الاسترالى ينتزعان مسدسيهما ، ويندفعان إلى داخل الجناح ، فهتف (أوكونور) :

- يا للشيطان ! ماذا حدث ؟!

انتزع (بيركينز) مسدسه بدوره ، وانطلق يعدو نحو جناح الاسترالى ، فى حين راح (أوكونور) يردد فى ذعر :

- إنه هو .. هو ..

اقتحم (بيركينز) الجناح فى عنف ، فاستقبلته فوهتا مسدسى الحارسين ، فى تحفز عصبى ، جعله يرفع مسدسه عاليًا ، وهو يهتف :

- إنه أنا .. (بيركينز) .. مساعد مستر (أوكونور) .

واندفع (أوكونور) إلى الحجرة ، مع نهاية عبارة مساعده ، وهو يهتف فى انزعاج :

- أين (كريستوفرسن) ؟! ماذا أصابه ؟! ما الذى ...

بتر عبارته بغتة ، عندما رأى (كريستوفرسن) أمامه ، فى نصف ثيابه ، يلوّح بورقة كبيرة ، فى عصبية شديدة ، صائحًا :

- مهزلة يا (سام) .. بل فضيحة .. كارثة .. أى أمن هذا الذى تتحدثون عنه ؟! كيف يمكن أن أشعر بالأمان ، بعد أن وجدت هذا على وسادتى .

اختطف (أوكونور) الورقة من يده بحركة حادة ، وانتفض جسده فى عنف ، وهو يمسكها بكلتى يديه ، هاتفًا فى ارتياع :

- مستحيل !

فلم تكن الورقة تحوى سوى عبارة انجليزية واحدة ، بخط بالغ الأناقة ..

« هل حجزت موضعًا فى الجحيم ، أيهــا الوغـد الاسترالى ؟! »

وأسفل العبارة توقيع شديد الوضوح ..

توقيع (أدهم صبرى) ..

وفى انفعال ، غمغم (بيركينز) :

ـ ولكن كيف ؟! كيف ؟! لقد فحصت الأجنحـة كلها بنفسى .

صرخ (أوكونور) فى وجهه :

ـ اخرس .

ضمّ (بيركينز) شفتيه فــى غضــب ، فــى حين استطرد (أوكونـور) فـى توتـر بـالغ ، وهــو يتلفـت حوله :

ـ إنه هنا .. إنه يعبث بنا .

دسّ (كريستوفرسن) سيجارًا ضخمًا بين شفتيه ، وأشعله فى عصبية شديدة ، قائلاً :

ـ دعنى أستعد سؤال مســاعدك إذن .. كيـف ؟! كيف اخترق كل نظم الأمن عندكم .

قال (أوكونور) فى صرامة :

ـ إنه محترف .

لوّح الاسترالى بذراعيه فى ثورة ، هاتفًا :

ـ كلنا محترفون .

أشار إليه (أوكونور) فى عصبية ، قائلاً :

ـ اهدأ يا (جون) .. اهدأ .. ما تفعله هو ما يسعى إليه ذلك المصرى بالضبط .. أن تثور الخلافات بيننا ، إلى الحد الذى ينفصم فيه اتحادنـا .. لا تجعلـه ينجح فى هذا .

قال الاسترالى فى حدة :

ـ ماذا أفعل إذن ؟! هل أنتظر حتى يظفر بى ؟!

هزّ (أوكونور) رأسه نفيًا فى قوة ، وقال :

ـ كلا يا (جون) .. سنتخذ إجراءً أكثر فاعلية .

ثم التفت إلى مساعده ، مستطردًا بلهجـة صارمـة آمرة :

ـ أخبر الرجال أننا سنغادر هذا الفندق على الفور .

أجابه (بيركينز) فى حماس :

ـ أمرك يا مستر (أوكونور) .

أضاف (أوكونور) ، فى صرامة أكثر :

ـ أرسل من يبلغ مستر (ماسومى) بالأمر ، وأخبره أننا سنرحل على الفور ، ثم يلحق بنا (مالينوفيتشى) عند وصوله .

انصرف (بيركينز) فى سرعة لتنفيذ الأمر ، فى حين قال (كريستوفرسن) فى حنق :

ـ كان من الخطأ أن نأتى إلى هنا بأنفسنا .. لماذا لم نكتف بإرسال مندوبين ، أو حتى بمؤتمر فيديوى(*) ؟!

أجابه الأمريكى فى حزم :

ـ لأن ما سنتناوله فى هذا الاجتماع بالغ الخطورة للغاية ، حتى إنه لا ينبغى أن تكون هناك أدنى فرصة ، لاطلاع الآخرين عليه .

مطّ (كريستوفرسن) شفتيه ، مغمغمًا فى سخط :

ـ أينبغى أن نتعرّض لكل هذه المخاطر ، من أجل هذا ؟!

قال (أوكونور) فى صرامة :

ـ أنت تعرف القاعدة الأولى ، فى عالم المال والاقتصاد يا رجل .. كلما زادت المخاطر ، زادت نسب الربح ، ونحن نسعى خلف أرباح هائلة ،

(*) المؤتمرات الفيديوية : أحد النظم المتطوّرة ، التى تؤمنها شبكة الإنترنت ، والتى تتيح لعدد من الأفراد فرصة اتصال بعضهم بالبعض ، ونقل صورة كل منهم إلى الآخرين طوال الوقت ، باستخدام كاميرا فيديوية رقمية ، وبرنامج اتصالات مباشر .

لا حدود لها ، ومن الطبيعى أن يتناسب معها حجم المخاطرة .

مطّ (كريستوفرسن) شفتيه مرة أخرى ، وهمهم بعبارة لا معنى لها ، قبل أن يهمّ بقول شىء ما ، و ...

وفجأة ، اندفع (بيركينز) إلى المكان ، وهو يلهث من فرط الانفعال ، هاتفًا :

ـ سيّدى .. مستر (ماسومى) .. مستر (ماسومى) .

سقط السيجار من بين شفتى الاسترالى ، فى حين اتسعت عينا الأمريكى ، وهو يقول فى عصبية شديدة :

ـ ماذا أصابه يا رجل ؟!

التقط (بيركينز) أنفاسه فى صعوبة ، قبل أن يجيب فى انفعال مخيف :

ـ لقد .. لقد اختفى .. اختفى تمامًا .

واتسعت العيون عن آخرها ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« (ثندر بيرد) .. »

غمغمت (منى) بالاسم فى اهتمام ، وهى تختفى مع (وصفى) ، خلف مبنى صغير ، فى المنطقة التجارية من ميناء (نيويورك) ، وتراقب ناقلة البترول الضخمة ، التابعة لمؤسسة (سيتاديل) ، والتى تحمل اسم (ثندر بيرد) ، قبل أن تتابع بلغة فتاة مخابرات محترفة :

ـ الحراسة مكثَّفة ، أكثر مما يتحتم ، بالنسبة لناقلة بترولٍ .. ثلاثة رجال عند المقدّمة ... أربعة فى المؤخرة ، وستة موزعون على الجانبين .. والكل مسلّح بمدافع آلية قوية .. لا آلات مراقبة على الأرجح .

سألها (وصفى) :

ـ هل تعتقدين أنهم يحتفظون بـ (قدرى) هنا بالفعل ؟!

أجابته فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم أضافت ، وهى تواصل المراقبة :

ـ لقد اختاروا رصيفًا خاليًا من البضائع ، طوله



« ثندر بيرد » .. !! غمغمت (منى) بالاسم فى اهتمام ،وهى تختفى مع (وصفى) خلف مبنى صغير ..

مائتا متر تقريبًا ، لضمان رؤية أى شخص يقترب .. أراهن على أنهم يستخدمون أيضًا كشافات قوية فى الليل .

سألها فى قلق :

- كيف يمكننا بلوغ المكان إذن ؟!

أجابته فى اهتمام :

- لن يكون هذا سهلاً .

ثم استعادت عبارات (أدهم) ، وهى تضيف فى حزم :

- ولكنه ليس مستحيلاً .

تنهَّد مغمغمًا :

- حقًا ؟!

أمسكت جبهتها بسبَّابتها وإبهامها ، قائلة ، وهى تشير إليه بيدها :

- دعنى أفكِّر يا (وصفى) .. سنجد وسيلة ما حتمًا .. أنت تعلم القاعدة الذهبية فى عالمنا .. لا يوجد جهاز أمنى خالٍ تمامًا من الثغرات .. سنجد ثغرة ما ، أو نقطة قصورٍ ، أو شىء ما .

التقطت منظارها المقرَّب مرة أخرى ، وعادت تراقب ناقلة البترول ، متابعة :

- من الواضح أن هؤلاء الرجال محترفون ، ولكنهم لم يتلقَّوا تدريبًا نظاميًا ، فى جهة معروفة .. انظر إلى طريقة إمساكهم لمدافعهم الآلية ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، عندما تناهى إلى مسامعها هدير مروحة هليوكوبتر ، فرفعت عينيها عن المنظار ، وتابعت الهليوكوبتر ببصرها ، وهى تتجه نحو الناقلة ، ثم قالت فى توتر :

- يبدو أنهم يستعدُّون لاستقبال زائر مهم .

كان رجال الحراسة قد أعادوا توزيع أنفسهم فى سرعة ، واتجه ثلاثة منهم نحو مهبط الهليوكوبتر ، لاستقبال ذلك الزائر الخاص ، على نحو يوحى بمدى أهميته وخطورته ، مما جذب انتباه (منى) فى شدة ، فراحت تتابع هبوط الهليوكوبتر فى اهتمام بالغ ، حتى استقرَّت على ناقلة البترول ، وهرع الحراس الثلاثة لاستقبالها ، فتمتمت فى توتر :

- أشعة الشمس تحجب على وضوح الرؤية ، ولكن ذلك الزائر يبدو لى وكأنه .. وكأنه ..

واتسعت عيناها بغتة ، قبل أن تكمل فى حدة :

- وكأنه امرأة شقراء .

انتفض جسد (وصفى) ، وهو يهتف :
- ماذا ؟!
أجابته فى توتر بالغ :
- لقد غادرت الهليوكوبتر ، ولكنها تولينى ظهرها ، ولا يمكننى رؤية ملامحها فى وضوح .. إنها شقراء ، ترتدى معطفًا من فراء المنك الطبيعى ، وقفازين سوداوين طويلين ، وتزين أصابعها فوقهما بخواتم من الماس .. من الواضح أنها تلقى أوامرها للجميع .. يبدو أن طاقم الحراسة يدين لها بالولاء .. لا .. لا .. استديرى لحظة .. دعينى أرى وجهك ، قبل أن ...
ولوّحت بقبضتها فى حدة ، هاتفة :
- اللعنة !
سألها (وصفى) فى توتر :
- ماذا حدث ؟!
أجابته فى حنق :
- لقد اختفت خلف البرج الرئيسى ، قبل أن أستوضح ملامحها جيدًا .
سألها فى حذر :
- من تظنينها ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تجيب :
- وهل يحتاج الأمر إلى تفكير عميق ؟!
ثم شدّت قامتها ، مستطردة فى حزم :
- السنيورا .
سرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يدير عينيه إلى ناقلة البترول ، متمتمًا :
- حقًا ؟!
ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يمسك يدها فى قوة ، مستطردًا :
- لابد أن ندخل ناقلة البترول هذه .. وبأى ثمن .
وعاد يتلفت حوله ، قبل أن يضيف فى حزم :
- أعتقد أن لدى الوسيلة .
سألته فى لهفة :
- وما هى ؟!
أشار بيده ، قائلاً :
- أنت قلتها بنفسك .. هؤلاء الرجال محترفون ، ولكنهم ليسوا نظاميين .. لقد اعتادوا التعامل بغريزة الشر وحدها ، وليس وفقًا لنظم وقواعد منمقة ، لذا فكل ما علينا هو أن نستغل تلك الغريزة القذرة فى أعماقهم .

سألته فى انفعال :

ـ كيف ؟!

انتزع من جيبه قنبلة يدوية محدودة ، وهو يجيب :

ـ اذهبى إلى المقدمة ، وعندما تحدث الضجة فى المؤخرة ، انطلقى إلى حافة الماء بأقصى سرعتك .. واستخدمى خيالك بعدها .

فهمت ما ينتويه على الفور ، فغمغمت :

ـ على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

افترقا عند هذه النقطة ، وانطلقت هى تعدو ، محتمية بسور قصير ، حتى أصبحت بمحاذاة مقدمة ناقلة البترول ، وهى تعيد دراسة هذا التطور الأخير ، فى توتر بالغ للغاية ..

لماذا أتت السنيورا بنفسها إلى هنا ؟!

وبالتحديد إلى تلك المدمرة ؟!

من المنطقى للغاية أن تأتى إلى (نيويورك) ؛ لحضور اجتماع العمالقة ، ولكن لماذا تأتى إلى هذه الناقلة ، ولم يتبق سوى ساعة واحدة ، قبل موعد الاجتماع السرى ؟!

هناك تفسير وحيد لهذا ..

أن الاجتماع سيتم هنا ..

على متن (تندر بيرد) ..

وهذا يعنى أن (أدهم) لن يلبث أن يظهر ، بين لحظة وأخرى ..

وستكون المواجهة ..

المواجهة الأخيرة على الأرجح ، بين رجل المستحيل ، والسنيورا ..

ويا لها من مواجهة !!

إنها لا تحتمل الانتظار ، لترى السنيورا بنفسها .. لتكشف هويتها الحقيقية !

تُرى من هى ؟!

أهى حقًا (سونيا جراهام) ؟!

كلا .. لا يمكنها أن تكون كذلك ..

(سونيا) لقيت مصرعها فى انفجار جزيرة (هيل)(*) ..

هذا ما تميل إلى تصديقه ..

أو ما يميل إليه قلبها ..

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠)

قلبها الذى تمزّق إربًا ، بسبب تلك الإسرائيلية اللعينة !

تمزّق عندما تزوّجها (أدهم) يومًا ..

وعندما أنجب منها طفله الوحيد(*) ..

لذا فهى تتمنى لو أنها قد لقيت مصرعها بالفعل .. وإلى الأبد ..

هذا وحده قد يشفى جراح قلبها ..

قد ..

كانت غارقة تمامًا فى أفكارها هذه ، عندما دوى الانفجار عند المؤخرة ..

انفجار قوى عنيف ، ارتجّ له الميناء التجارى بأكمله ، واندفع معه كل طاقم الحراسة نحو المؤخرة ، فى رد فعل تلقائى غير مدروس ..

ودون إضاعة ثانية واحدة ، انطلقت (منى) كالصاروخ ..

كانت تعدو بأقصى سرعتها ، نحو حافة الميناء ، عبر مائتى متر عارية ، مكشوفة ..

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤)

وعندما بلغت الحافة ، وجدت نفسها تقفز بلا تردُّد ، فى مياه المحيط ..

وارتطم جسدها بالماء البارد فى عنف ..

وغاص عميقًا ..

عميقًا ..

وبكل قوتها ، ضربت الماء بذراعيها ، وراحت تصعد إلى السطح ..

ولكن فجأة ، ارتطم جسدها بجسم معدنى مستدير ..

ومع النظرة الأولى ، أدركت (منى) على الفور ، طبيعة ذلك الجسم المعدنى ..

لقد كان لغمًا مائيًّا ..

ولقد أشعله ارتطامها به ، وبات على وشك الانفجار ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

٦ - الشقراء ..

هبطت درجة الحرارة إلى حد لم يسبق له مثيل ، فى تلك المنطقة من (سيبيريا) ، وتساقط الجليد ليغطى كل شىء ، حتى كاد يخفى ذلك المفاعل النووى عن الأنظار ، وسط الثلوج الممتدة إلى مدى البصر ، لولا الأضواء المنبعثة من بعض نوافذ مبناه الإدارى ، والنيران التى أشعلها حراسه المسلحون ، عند بوابته الرئيسية ..

وعلى الرغم من الجليد والظلمة ، تحرك العالم الفرنسى (دى مال) فى خفة وحذر ، عبر ساحة المبنى ، حتى بلغ كشك الطاقة الكهربية ، فانحنى يفحص رتاجه القديم فى اهتمام بالغ ، قبل أن يغمغم :

- إنه من طراز تقليدى عتيق .. من الواضح أن هؤلاء الروس لم يألفوا التقدم بعد .

ثم عاد أدراجه إلى جناح الإقامة ، المخصص له ولزملائه ، مستطردًا :

- لحسن الحظ .

كان طاقم الحراسة ، المسئول عن المكان ، مستقرًا فى موضع واحد ، حيث اشتعلت كومة من الحطب لتدفئتهم ، مما سمح له بالتسلل إلى نافذته ، التى تركها نصف مفتوحة ، فتسلق ذلك الجزء من الجدار ودفع النافذة ، ثم وثب داخل الحجرة ، وهو يرتجف من شدة البرد ، ويغمغم :

- رباه ! سأحتاج إلى ساعة كاملة على الأقل قبل أن تستعيد الحجرة دفئها ..

أسرع يلتقط بطانية سميكة ، ويحيط جسده بها ، وهو يغلق النافذة فى إحكام ، ثم رفع مؤشر التدفئة إلى الحد الأقصى ، وجلس على فراشه يرتجف ، ويقول محدثًا نفسه :

- لو أن كل شىء هنا يسير على الوتيرة نفسها ، فلن تفشل خطتى قط .

انتفض جسده فى عنف ، حتى قفز من مكانه مذعورًا ، عندما أتاه صوت بارد قاس ، يقول بغتة من ركن حجرته :

- هذا يتوقف على طبيعة الخطة .

ومع نهاية القول ، أضيئت الأنوار ، وبدا تحتها (لورانزو) ، الذراع اليمنى للسنيورا ، وهو يجلس على المقعد الوحيد فى ركن الحجرة ، ويصوِّب مدفعه الآلى فى صرامة إلى (دى مال) ، الذى تراجع فى ارتياع ، حتى التصق بالجدار ، وهو يتمتم :

- كيف ؟! كيف دخلت إلى هنا ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفتى (لورانزو) ، وهو يلوِّح بسلسلة مفاتيح كبيرة فى يده ، قائلاً :

- هل نسيت أننى أمتلك كل المفاتيح ؟!

امتقع وجه (دى مال) فى شدة ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

- ولكن كيف ...

قاطعه (لورانزو) فى صرامة :

- كيف عرفتُ أنك لست هنا .. أليس كذلك ؟!

لم يجب (دى مال) ، وهو ملتصق بالجدار فى ارتياع ، فنهض (لورانزو) فى حركة حادة ، وهو يتابع بنفس الصرامة :

- إنها درجة حرارة حجرتك أيها العبقرى .. الشاشات الرئيسية سجَّلت انخفاضًا كبيرًا فيها الليلة ،

ولم يكن هناك تفسير سوى أن نافذة الحجرة مفتوحة .

واقترب منه ، حتى التقت عيونهما ، وهو يضيف بلهجة مخيفة :

- وأنك قد غادرتها دون إذن .

اتسعت عينا (دى مال) عن آخرهما لحظة ، ثم قال فى عصبية :

- لسنا هنا فى سجن .. ولو أردت الهروب فلن ...

قاطعه (لورانزو) فى صرامة :

- فلن يمنعك أحد .

بدت الدهشة على وجه (دى مال) ، فقهقه (لورانزو) ضاحكًا ، ودار على عقبيه ، عائدًا إلى المقعد ، وألقى نفسه عليه فى استهتار ، قائلاً :

- لو أردت أن تهرب ، فسأفتح لك الأبواب عن مصراعيها أيها الفرنسى ، وأمامك جليد (سيبيريا) كله لتعدو فيه ، حتى تتجمَّد أطرافك ، أو تلتهمك ذئاب الشتاء الجائعة .

دارت عينا (دى مال) فى محجريهما ، وقد انكشفت هذه الحقيقة المخيفة لعقله ، لأوَّل مرة ، فى حين تابع (لورانزو) فى سخرية :

- هل تصورت أن السنيورا قد انتقت هذا المكان عبثًا .. لقد درست عشرات الخرائط ، قبل أن يقع اختيارها عليه .. إن كل ما تراه من حراسة هنا ، هو لمنع أى متطفل من الدخول إلى هنا ، دون إرادتها ، وليس لمنع أى مجنون من الخروج ، إلى هذا الطقس الرهيب .

خفض (دى مال) عينيه فى قهر ، واتجه نحو فراشه ، وألقى نفسه عليه ، وهو يغمغم فى مرارة :

- أريد مقابلة السنيورا .

هز (لورانزو) رأسه نفيًا ، وهو ينهض ، قائلاً فى صرامة :

- لن يمكنك هذا .

قال فى عصبية :

- لدى ما أخبرها به .

اتجه (لورانزو) نحو الباب ، قائلاً :

- أخبرنى ما لديك ، وسأنقله إليها .

هز (دى مال) رأسه فى عنف ، قائلاً فى حدة :

- لابد أن أتحدث إليها شخصيًا .

فتح (لورانزو) الباب ، وهو يقول :

- سيكون عليك أن تنتظر عودتها إذن .

سأله العالم فى دهشة :

- وهل رحلت ؟! إلى أين ؟!

أجابه (لورانزو) فى صرامة :

- لا أحد يجرؤ على سؤال السنيورا عن وجهتها ، ما دامت لم تفصح عنها بنفسها .

قالها ، وأغلق الباب خلفه فى عنف ، تاركًا (دى مال) فى أسوأ حالاته النفسية والمعنوية ..

أسوأها على الإطلاق ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، أدركت (منى) طبيعة ذلك اللغم الحربى ..

بل وتعرفت طرازه ، ومنشأه ، وتاريخ صنعه أيضًا ..

ولكن الأكثر خطورة ، هو أنها أدركت على الفور ، أن ذلك النوع من الألغام البحرية المحدودة ، ينفجر بعد ثانيتين فحسب ، من الارتطام به ..

ولقد أضاعت ثانية كاملة فى تعرفه ..

وبقيت أمامها ثانية واحدة للتفكير ..

والتدبير ..

واتخاذ القرار ..

والتنفيذ أيضًا ..

وبحركة غريزية ، اتخذت (منى) الخطوة المباشرة السريعة ، فحملت اللغم بكفيها ، وألقته بكل قوتها على رصيف الميناء ..

ومع دوى الانفجار ، انطلقت تسبح مبتعدة ، وتدور حول مقدّمة ناقلة البترول ..

كانت سلسلة الهلب الضخمة تتدلّى من فتحة كبيرة ، فى الجانب الأيمن من المقدّمة ، فتعلّقت بها ، وراحت تتسلقها فى سرعة ، ووقع أقدام رجال الحراسة يعلو ويقترب ، وهم يندفعون لفحص ذلك الانفجار الجديد ..

وضاعفت (منى) من سرعتها ، معتمدة على كونها عند الجانب الآخر للمدمّرة ، حتى بلغت تلك الفتحة المستديرة ، التى تتدلّى منها السلسلة ، فثنت جسدها ، وقفزت داخلها فى خفة أدهشتها هى نفسها ، قبل أن تستقر وسط عدد من الآلات الضخمة الكبيرة ..

وفى نفس اللحظة التى استقرّ فيها جسدها ، ارتفع هتاف مندهش :

ـ أنت ! كيف دخلت إلى هنا ؟!

التفتت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، ورأت رجلين ضخمى الجثة ، يندفعان نحوها بصدريهما العاريين ، وكل العضلات المفتولة ، البارزة فى أنحاء شتى من جسديهما ، وقد حمل كل منهما أداة معدنية ضخمة ، على نحو مخيف ..

وبكل قوتهما ، هوى الرجلان عليها بما يحملانه ، وهما يطلقان صرخة وحشية ، كفيلة ببث الرعب فى قلب أشجع الرجال ..

ولكن شعرة واحدة فى جسد (منى) لم ترتجف ، وهى تميل فى خفة ، متفادية الضربتين ، ثم تدفع قدمها فى معدة الرجل الأوّل ، قبل أن تثب فى رشاقة ، وتدور حول نفسها ، وتركل الثانى فى أنفه مباشرة ..

وانحنى الرجل الأوّل ، وهو يمسك معدته فى ألم ، فجمعت قبضتيها ، وهوت على مؤخرة عنقه بلكمة ، استودعتها كل قوتها ، فأطلق خوارًا مضحكًا ، ثم سقط على وجهه فاقد الوعى ..

أما الرجل الثانى ، فقد أطلق صرخة ملؤها الغضب ، وهوى على رأسها بالأداة المعدنية الثقيلة ، ولكنها تفادتها فى قفزة سريعة ، فسقطت الأداة على ماسورة ضخمة ، ودوى صوت الارتطام كرنين عنيف ، تردَّد فى المكان كله ، وامتزج بصرخة (منى) ، وهى تقفز عاليًا ، وتركل الرجل فى أنفه وفمه ركلتين عنيفتين متتاليتين ، ثم تهبط على قدميها ، وتحطِّم عنقه بلكمة كالقنبلة ..

وفى ألم وذعر ، أمسك الرجل عنقه بكفيه ، وهوى على ركبتيه ، وهو يطلق صوتًا متحشرجًا مخيفًا ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يهوى أرضًا فى عنف ..

وفى نفس لحظة سقوطه ، ارتفع وقع أقدام تقترب ، مع صوت يهتف :

- أين أنتما يا رجال .. ماذا يحدث عندكما ؟!

اختطفت (منى) مسدسها من حزامها ، وقفزت نحو مدخل المكان ، الذى اندفع عبره رجل يهتف فى قلق :

- لماذا لا تجيبان ؟! هل ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت فوهة مسدسها ملتصقة بمؤخرة عنقه ، فانتفض جسده كله فى ذعر ، وحاول أن يلتقط مسدسه فى سرعة ، ولكنها قالت فى صرامة :

- هيا .. التقطه ، وامنحنى سببًا لنسف رأسك ، دون ذرة واحدة من تأنيب الضمير .

رفع يده فى خوف ، قائلاً :

- ماذا تريدين ؟!

سألته فى صرامة ، وهى تنتزع مسدسه من حزامه :

- أين الأسير ؟!

قال فى عصبية :

- لن يمكنك الوصول إليه .

لكزته بفوهة المسدس فى عنف ، قائلة :

- ليس هذا من شأنك .. أخبرنى فحسب .

بدا عليه التوتر ، وهو يجيب :

- فى الطابق الذى يعلونا مباشرة ، ولكنهم يحرسون حجرته جيدًا .

سألته صارمة :

- كم رجل يحرسونه ؟!

أشار بأصابعه ، مجيبًا :

- ثلاثة .

سألته فى سرعة :

- هل توجد أجهزة إنذار ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، فسألته مرة أخرى :

- وماذا عن آلات المراقبة ؟!

أجاب فى عصبية :

- إنها ناقلة بترول ، وليست حصنًا عسكريًا .

سألته فى حدة :

- لماذا نقلوا الأسير إلى هنا إذن ؟!

قلب كفيه ، قائلاً فى عصبية أكثر :

- ومن أدرانى ؟! هل تتصوَّرين أننى سأسأل مستر (بيركينز) عما يفعله ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تقول فى حزم :

- كلاَّ .. لست أتصوَّر هذا .

ثم هوت على مؤخرة عنقه بضربة عنيفة ، فسقط بدوره فاقد الوعى ..

وفى خفة وحذر ، راحت تصعد إلى الطابق العلوى ، وهى تحكم كاتم الصوت ، على فوهة مسدسها ..

وعند مدخل الطابق ، التصقت بالجدار المعدنى فى قوة ، ومالت فى حذر ، لتلقى نظرة على الممر ..

ومن النظرة الأولى ، حدَّدت موقع حجرة (قدرى) ..

فعلى الرَّغم من وجود عدد من الكبائن ، فى ذلك الممر ، فإن رجلاً ضخمًا مسلحًا ، كان يقف بمدفع آلى كبير ، أمام حجرة بعينها ، فى حين انهمك رفيقان له فى حديث خافت ، على بعد عدة أمتار منه ، وهما يدخنان سيجارتين ، لهما رائحة نفاذة قوية ..

وقبل حتى أن يراودها أدنى شك ، فى هوية الحجرة ، راح (قدرى) يدقّ بابها بقبضتيه فى عنف ، وهو يصرخ :

- الطعام .. أين الطعام .. هل قرَّرتم قتلى جوعًا ؟!

ارتفع حاجباها فى حنان مشفق ، وهى تتمتم :

- حمدًا لله .. إنه بخير .

أما الراجل الواقف عند الباب ، فقد زفر بفراغ صبر ، هاتفًا :

- اصمت أيها الشَّره ، وإلا أطلقت النار عليك .

أجابه (قدرى) فى حدة :

- أطعمونى أولاً ، ثم افعلوا بى ما تشاءون .

هتف الرجل فى حنق :

- سأقتله .

انفجر رفيقاه ضاحكين ، وقال أحدهما فى سخرية :

- افعل لو أردت .. لن يكون عليك سوى أن تدير مزلاج الباب ، ثم تطلق عليه النيران ، وبعدها ستضطر لمواجهة مستر (أوكونور) ، وتبرير فعلتك هذه له .. أو ربما تضطر لمواجهة السيدة .

احتقن وجه الضخم فى غضب ، فى حين التقطت أذنا (منى) الرسالة فى اهتمام ، وغمغمت :

- إذن فالسيدة تفوق (أوكونور) ، فى نظر رجاله أنفسهم .

ثم انعقد حاجباها فى حزم ، وهى تجذب مشط مسدسها ، مستطردة :

- ولكن الأهم أن حجرة (قدرى) موصدة بمزلاج عادى .

قالتها ، واندفعت من مكمنها إلى الممر بحركة مباغتة ، هاتفة :

- هاى .. أيها الأوغاد .

اتسعت عيون الرجال الثلاثة فى هلع ، وارتفعت

فوهات مدافعهم الآلية الثلاثة فى آن واحد ، ولكن (منى) أطلقت رصاصة على جبهة أحدهم ، ثم وثبت تلقى نفسها أرضًا ، وهى تطلق رصاصة ثانية ، اخترقت عنق الثانى مباشرة ، وتركت جسدها ينزلق على أرضية الممر ، وهى مستلقية على ظهرها ، ممسكة مسدسها بكفيها ، تطلق كل ما تبقى فيه من رصاصات ، على جسد الضخم ..

لم يستغرق كل هذا سوى ثانية واحدة ، دوت خلالها كل رصاصاتها الصامتة ، دون أن يطلق خصومها رصاصة واحدة ..

أو بمعنى أدق ، دون أن تتيح هى لهم الفرصة ، لإطلاق رصاصة واحدة ..

وعندما مضت الثانية ، وهبت هى واقفة على قدميها ، كان الثلاثة مجرد جثث تفترش أرضية الممر ..

وبحركة سريعة متوترة ، ألقت عليهم (منى) نظرة عصبية ، قبل أن تقول فى خفوت :

- يا إلهى ! لقد فعلتها .

كانت تتعجب بشدة من ذلك النشاط ، الذى وجد

طريقه إلى جسدها ، بعد تلك المغامرة فى (ريو دى جانيرو)[*] ..

لقد ذهبت إلى هناك ، وهى لا تكاد تسير ، وعادت مقاتلة شرسة ، لا يشق لها غبار ..

عادت كما كانت من قبل ..

بل أفضل مما كانت ..

وهى لا تدرى حتى كيف حدث هذا ؟!

كيف فعلها هؤلاء البدائيون ، فى غابات (البرازيل) ؟!

انتزعها من أفكارها صوت (قدرى) ، وهو يدق الباب بقبضته فى حذر ، متسائلاً :

- احم .. أظن أنه لا علاقة لهذه الضجة بطعامى .

ابتسمت (منى) ، وأدارت مزلاج الباب ، وهى تقول :

- بل له علاقة مباشرة بالطبع .

سمعت شهقة دهشته ، قبل حتى أن ترى وجهه ، وهو يهتف مبهورًا :

- (منى) ؟!

(*) راجع قصة (مهرجان الموت) .. المغامرة رقم (١١٦)

ابتسمت قائلة :

- كيف حالك يا أكثر الأصدقاء ضخامة ؟!

حدّق فى وجهها لحظة بدهشة بالغة ، قبل أن ينفجر ضاحكًا بغتة ، وهو يهتف :

- كنت أعلم أنكم ستفعلونها .. كنت أعلم أنكم ستأتون لإنقاذى بسرعة ، قبل أن أموت جوعًا .

وضعت سبابتها على شفتيها ، قائلة :

- رويدك يا (قدرى) .. لسنا هنا فى دار الأوبرا .. إننا لا نزال فى قلب أرض العدو .

اندفع يغادر الحجرة ، قائلاً فى لهفة :

- حسن .. حسن .. سألتزم الصمت ..

ثم تلفت حوله ، متسائلاً :

- أين (أدهم) ؟!

أجابته فى توتر :

- إنه ليس هنا .

حدّق فى وجهها ، هاتفًا فى دهشة :

- ليس هنا ؟! أتعنين أنك قد فعلت هذا وحدك .

ابتسمت هامسة :

- هل يدهشك ذلك ؟!



حدّق فى وجهها لحظة .. بدهشة بالغة .. قبل أن ينفجر ضاحكًا بغتة ، وهو يهتف : - كنت أعلم أنكم ستفعلونها ..

تطلّع إليها لحظة أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

- كلا .

ارتفع حاجباها لحظة ، قبل أن تقول :

- أشكرك .

لوّح بيده ، محاولاً قول شىء ما ، ثم بدا وكأنه شعر بعدم جدوى هذا ، فلوّح بها مرة أخرى ، قائلاً :

- هيا بنا .. لست أريد البقاء هنا لحظة إضافية .

أمسكت مسدسها فى قوة ، مغمغمة :

- ومن يرغب فى هذا ؟!

ثم أشارت إليه ، وهى تتقدّم نحو السلم الذى أتت منه ، قائلة :

- هل تجيد السباحة ؟!

امتقع وجهه ، وهو يجيب :

- كلا .. لست أجيدها على الإطلاق .

انعقد حاجباها ، وهى تتخيّل (قدرى) المسكين ، يحاول عبثًا التعلّق بسلسلة الهلب الضخمة ، ثم لم تلبث أن هزّت رأسها ، قائلة ، وهى تلتقط أحد المدافع الآلية :

- أنت على حق .. لن يُجدى هذا .

ثم استدارت تتجه نحو الباب ، الذى يقود إلى السطح ، مستطردة :

- فليكن .. سنتجه إلى السطح .

تبعها فى توتر شديد ، وهو يتلفت حوله مذعورًا ، حتى التصقت بباب السطح ، واختلست منه نظرة إلى الخارج ، قائلة :

- لا يوجد أحد هنا ، ولكن هذا لا يعنى أن الأمور ستسير على ما يرام .. إنهم يبحثون بالتأكيد عن سبب الانفجارين ، وسيكون الموقف متوترًا للغاية .

سألها فى اضطراب :

- ماذا سنفعل إذن ؟!

أشارت إليه ، قائلة :

- امنحنى فرصة للتفكير .

تلفت حوله مرة أخرى فى خوف ، وراح عرق بارد يتصبب على وجهه كله ، فى حين أخذت هى تبحث عن وسيلة ، للخروج من هذا الموقف ..

هناك أكثر من عشرة رجال على السطح ..

بالإضافة إلى تلك الشقراء ورجالها ..

والموقف متوتر للغاية ..

و ...

قبل أن تتمّ تفكيرها ، دوى انفجار آخر عنيف ، عند مؤخرة ناقلة البترول ، فهتف (قدرى) مذعورًا :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابته فى لهفة :

- إنه (وصفى) .

ثم اندفعت من مكانها ، هاتفة :

- هيا بنا .

لم يكن يشعر بالارتياح لهذا ، إلا أنه دفع جسده البدين إلى الأمام ، بكل ما يمكنه من قوة ، وانطلق يعدو خلفها ..

وأمام عينيه ، رأى رجلاً ضخم الجثة ، يقفز من برج المدمرة ، نحو (منى) مباشرة ، فصرخ :

- احترسى .

استدارت (منى) إليه فى سرعة ، وانتبهت إلى ذلك الضخم ، ورفعت مدفعها الآلى نحوه ، و ...

ولكن فجأة ، انقضّ عليها رجل آخر من الخلف ، وقفز يضربها بقدميه فى ظهرها فى عنف ، فسقطت على وجهها أرضًا ، وسقط فوقها ذلك الضخم ، وهو يهوى على رأسها بقبضته فى قوة ..

وعلى الرغم من ذلك الدوار العنيف ، الذى أحاط بعقلها ، حاولت (منى) أن تقاوم فى عنف ، فى حين اندفع (قدرى) ، محاولاً الدفاع عنها ، وهو يهتف :

ـ أيها الأوغاد .. ابتعدوا عنها .. أيها الـ ...

رأى رجلاً ثالثاً يهوى على رأس (منى) بهراوة سميكة ، فى نفس اللحظة التى انقضَّ فيها رجل هائل الحجم عليه ، وكال له لكمة كالصاعقة ، ارتجَّ لها كيانه كله فى عنف ، فسقط على ركبتيه ، وهتف :

ـ أيها الـ ... الـ ...

كانت الشمس تواجهه مباشرة ، عندما اعترضت أشعتها فجأة أنثى شقراء الشعر ، لها قوام بديع ، ورائحة طيبة ذكية ، اخترقت أنفه ، وتسللت إلى مخه فى سرعة ، فرفع عينيه إليها فى صعوبة ، مغمغماً :

ـ من .. من أنت ؟!

كانت الشمس التى تشرق من خلفها ، تخفى ملامحها عن عينيه تماماً ، ولكن صوتها بدا مألوفاً للغاية ، وهى تقول بلهجة شامتة ، ظافرة ، ساخرة :

ـ ألم تتعرَّفنى بعد يا (قدرى) ؟!

دار رأسه فى قوة ، وهو يتمتم :

ـ لا .. لا يمكن أن ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، هوت ضربة أخرى على مؤخرة عنقه ، فدارت عيناه فى محجريهما ، وهوى على وجهه كالحجر ..

وفى هدوء مثير ، التقطت الشقراء واحدة من سجائرها الطويلة الرفيعة ، ودسَّتها بين شفتيها الجميلتين ، ثم أشعلتها بقداحتها الذهبية ، قبل أن تقول :

ـ (قدرى) و(منى) .. عظيم .. لقد أمسكنا بكل الأوراق الرابحة ، فى لعبتنا مع (أدهم صبرى) .

قالتها ، وأطلقت ضحكة عالية مجلجلة ، تحمل كل الظفر والثقة والشماتة ..

ضحكة ترددت فى كل ركن ، من ميناء أعنف مدينة فى العالم ..

(نيويورك) ..

★ ★ ★

اندفع (أوكونور) داخل جناح (ماسومى) فى عصبية بالغة ، وتلفت حوله فى حدة ، هاتفاً :

ـ كيف اختفى ؟! من كان المسئول عن حراسته هنا ؟!

أجابه رجل وسيم الملامح ، قوى البنيان ، طويل القامة ، على الرغم من ملامحه اليابانية الواضحة(*) :

ـ أنا المسئول عن هذا ، ولقد فحصنا الجناح جيدًا ، قبل أن يستقر فيه (ماسومى) سان ، وكان كل شىء على ما يرام ، ولكن أحدهم هبط من شرفة الجناح الذى يعلونا ، عندما كان (ماسومى) سان ينعم ببعض الراحة .

هتف (أوكونور) :

ـ هذا قصور أمنى رهيب .. لا بد أن يبقى بعضكم داخل الجناح ، لحماية رئيسكم .

أجابه اليابانى فى حدة :

ـ أنا كنت هنا يا (أوكونور) سان .

قال (أوكونور) فى حدة :

ـ ثم ماذا ؟!

(*) يمتاز اليابانيون بقصر القامة ، وهى إحدى السمات الرئيسية لجنسهم ، والتى لم تعد صفة سائدة فيهم ، بعد تزاوجهم مع العديد من الجنسيات الأخرى ، بعد الحرب العالمية الثانية .

أجابه فى عصبية :

ـ (ماسومى) سان ينام دائمًا وحجرته مغلقة .

احتقن وجه (أوكونور) ، ودفع سبابته فى صدر اليابانى ، قائلاً فى غضب :

ـ اسمع يا هذا .. لو أنك تتصور أن أى يابانى يدعى (نيبونى) ، يمكنه حفظ الأمن فى (نيويورك) ، فأنت ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دار اليابانى حول نفسه فى سرعة ، وانتزع مسدسه من غمده ، ولوى ذراع (أوكونور) خلف ظهره ، ثم دفع فوهة المسدس فى عنقه ، قائلاً فى صرامة :

ـ اسمى ليس (نيبونى) أيها النيويوركى ... إننى (يوتا) ، وأنا أفضل حارس شخصى ، فى (اليابان) كلها ، ولقد تلقيت تدريبات مدهشة ، تتيح لى أن ...

قاطعه هذه المرة صوت (بيركينز) ، وهو يغرس فوهة مسدسه فى عنقه ، قائلاً فى غلظة وقسوة :

ـ أما أنا فاسمى (بيركينز) ، ومهمتى هى حماية مستر (أوكونور) ، فى أى مكان فى العالم .

انعقد حاجبا (يوتا) ، وقال فى حدة :

- المفترض أننا هنا فى حمايتكم .

انتزع (أوكونور) ذراعه منه ، هاتفًا فى غضب :

- والمفترض ألا تهاجمونا قط .

صاح (يوتا) :

- والمفترض أيضًا ألا يتعرَّض (ماسومى) سان لأية مخاطر فى أرضكم .

أعاد (بيركينز) مسدسه إلى غمده ، قائلاً :

- أنت على حق فى هذا .

ثم تلفت حوله ، متسائلاً :

- قل لى : هل فتشتم المكان كله جيدًا ؟!

أجابه (يوتا) فى حدة :

- (ماسومى) سان لا يوجد فى أية حجرة من حجرات الجناح .

هزَّ (بيركينز) رأسه نفيًا ، وقال :

- لست أقصد الحجرات المباشرة ، وإنما مخزن أدوات الحمام ، أو دولاب الملابس ، أو حتى خزانة الكتب .

قال (أوكونور) فى حنق :

- (بيركينز) .. من أين أتتك تلك الأفكار العجيبة ؟!

أجابه (بيركينز) فى حسم :

- معذرة يا مستر (أوكونور) ، ولكن لو أن ذلك المصرى قد هبط من شرفة الجناح الذى يعلونا إلى هنا ، فهو حتمًا لم يحمل مستر (ماسومى) إلى ذلك الجناح عبر الشرفة أيضًا ، وهو لم يهبط به حتمًا إلى منطقة أحواض السباحة أسفل الفندق ، و (يوتا) سان يؤكد أنه لم يغادر الحجرة من هنا ، إذن فالتفسير الوحيد هو أنه قد وضع مستر (ماسومى) فى أحد الأماكن الخفية هنا .. أليس كذلك ؟!

ارتفع حاجبا (أوكونور) فى دهشة ، فى حين هتف (يوتا) :

- يا للشيطان !

واندفع مرة أخرى إلى الجناح ، يفتش كل الأماكن غير التقليدية ..

وفى صرامة ، قال (أوكونور) :

- عجيبة هى أمارات الذكاء ، التى ظهرت عليك ، فى الآونة الأخيرة يا (بيركينز) ..

تهللت أسارير (بيركينز) ، وهو يقول :

- هل تعتقد ذلك يا مستر (أوكونور) ؟!

قبل أن يجيب (أوكونور) ، ارتفع صوت (يوتا) ، وهو يهتف من الداخل :

- يا للشيطان !

اندفع الجميع إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، عندما وقعت أبصارهم على الملياردير اليابانى ، الذى تم وضعه فى خزانة الثياب ، بعد تقييده ، وتكميم فمه فى إحكام ..

وبسرعة ، أخرج (يوتا) سيِّده ، وراح يحلّ وثاقه ، هاتفًا :

- ألنت بخير يا (ماسومى) سان ؟! ألنت بخير ؟!

انتظر (ماسومى) ، حتى انتزعوا كمامة فمه ، ثم صرخ فى ثورة :

- أين كنت يا (يوتا) ؟! لقد هاجمنى ذلك المصرى ، وأفقدنى الوعى ، قبل حتى أن أستنجد بك .

هتف (يوتا) فى انكسار :

- إننى أعتذر يا (ماسومى) سان .. هل يسعدك أن أدفع حياتى ثمنًا لهذا الخطأ ..

أجابه (ماسومى) فى حدة :

- كلاّ .. مازلت أحتاج إليك .

اندفع (أوكونور) يسأل فجأة :

- ولكن لماذا ؟!

استدارت إليه كل العيون ، فتابع فى حدة :

- لماذا يهاجمك (أدهم صبرى) ؟!

لوّح (ماسومى) بذراعيه كليهما فى حدة ، هاتفًا :

- ومن أدرانى ؟!

رمقه (أوكونور) بنظرة صارمة طويلة ، قبل أن يتحرك فى المكان ، قائلاً :

- إنها النقطة الأساسية ، التى ينبغى أن تستحوذ على تفكيرنا أيها السادة .. لماذا يهاجمنا (أدهم صبرى) ، على هذا النحو ؟! لماذا يجازف بالقيام بعدة ضربات جريئة للغاية ، داخل فندق محدود ، يكتظ برجال حراسة كل منا ؟! ألمجرَّد أن يهدِّد هذا بورقة ساخرة ، أو يفقد ذاك وعيه ، ويضعه داخل خزانة ملابس ؟! كلاّ .. لقد قرأنا جميعًا ملف الرجل ، ونحفظه عن ظهر قلب ، وهو حتمًا لم يقدم على كل هذا عبثًا ؟!

قال (ماسومى) فى عصبية :

- إنه يحاول إفقادنا أعصابنا .

هزّ (أوكونور) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يكون هذا هدفه فحسب ، إنه يسعى لهدف آخر ، أكثر أهمية وشمولاً .

قالها ، واستغرق فى تفكير عميق ، حتى سأله (ماسومى) ، وقد انتقل إليه القلق والاهتمام :

ـ ما هذا الهدف فى رأيك ؟!

أشار (أوكونور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ ما هو أوّل أمر ، يمكن أن يثير رجلاً مثله ، عندما يعلم أننا سنجتمع كلنا هنا ، فى (نيويورك) .

أجابه (بيركينز) فى سرعة :

ـ أن يحاول معرفة سبب هذا .

التفت إليه (أوكونور) ، قائلاً فى حماس :

ـ بالضبط .. أن يعرف ما نجتمع من أجله .. أو بمعنى أدق ، أن يدس عينًا أو أذنًا فى اجتماعنا .

غمغم (ماسومى) فى حذر :

ـ عين أو أذن .

أجابه (أوكونور) بنفس الحماس :

ـ بالطبع يا رجل .. عين يرانا بها ، وأذن يسمع بوساطتها كل ما يدور بيننا .. إنها لعبة رجال المخابرات ، فى كل زمان ومكان .

قال (ماسومى) :

ـ آه .. فهمت .. سيحاول زرع أجهزة تنصّت أو مراقبة ، فى مكان الاجتماع ..

أشار (أوكونور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ هذا ما يقود إليه التفكير المباشر ، ولكن المشكلة أنه يجهل حتمًا أين سيتم الاجتماع ، لأننا نحن أنفسنا مازلنا نجهل هذا ، فكيف يتصرّف إذن ؟!

هتف (يوتا) :

ـ يدس لأحدنا جهاز تنصّت .

صاح به (أوكونور) فى حماس :

ـ بالضبط .

اتسعت عينا (ماسومى) ، وهو يتراجع ، قائلاً :

ـ أتعنى أنه قد أفقدنى الوعى لهذا السبب ؟!

قال (أوكونور) فى حزم :

ـ هذا احتمال وارد .

ظلّت عينا (ماسومى) متسعتين ، فى ذعر واستنكار لبضع لحظات ، ثم لم يلبث حاجباه أن انعقدا فى شدة ، وهو يهتف :

- اللعنة !

ثم التفت إلى (يوتا) ، قائلاً :

- احضر جهاز الكشف .

هتف (يوتا) فى حماس ، وهو يندفع داخل الجناح :

- أمرك يا (ماسومى) سان .

سأله (أوكونور) فى قلق :

- ما جهاز الكشف هذا ؟!

أجابه (ماسومى) فى حزم غاضب :

- إنه جهاز تقليدى ، نصطحبه معنا فى كل مكان ، ومهمته هى كشف أية أجهزة تنصت ، يتم زرعها فى أماكن إقامتنا .

بدا الإعجاب على وجه (أوكونور) ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم ..

عاد (يوتا) فى سرعة ، حاملاً جهازًا صغيرًا ، أشبه بالمكنسة الكهربية ، فأشار إليه (ماسومى) ، قائلاً :

- قم بفحصنا جميعًا .

هتف (بيركينز) مبهورًا :

- يا لروعة التكنولوجيا .

التفت إليه (أوكونور) فى صرامة ، قائلاً :

- اصمت .

ارتبك (بيركينز) مغمغمًا :

- كما تأمر يا مستر (أوكونور) .. كما تأمر .

أمسك (يوتا) طرف جهاز الكشف ، وراح يمرِّره على جسد رئيسه ، فى دقة مدهشة ، استغرقت دقيقة كاملة ، قبل أن يقول فى ارتياح :

- لا شىء .

أشار (ماسومى) بيده ، قائلاً :

- دورك يا مستر (أوكونور) .

مطَّ (أوكونور) شفتيه ، قائلاً :

- دعنا ننتهى من هذا الأمر بسرعة .

توجَّه إليه (يوتا) ، وراح يمرِّر طرف الجهاز على جسده ، و (بيركينز) يقول فى قلق :

- هل يؤلم ؟!

أجابه (أوكونور) فى غضب صارم :

- اصمت يا (بيركينز) ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة أزيز جهاز الكشف ، فتوتر الجو دفعة واحدة ، وهتف (ماسومى) :

- إنه أنت .. أنت يا (سام) .

ولم يجب (أوكونور) بحرف واحد ..

فقد كانت المفاجأة مدهشة ..

بحق .

* * *

٧ - عين وأذن ..

اتسعت خطوات نائب مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يقطع ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى حجرة المدير ، فى توتر ملحوظ ، قبل أن يندفع إلى حجرة مدير مكتبه ، قائلاً :

- أريد مقابلة سيادة المدير على الفور .. الأمر عاجل للغاية .

نهض الرجل من خلف مكتبه ، وهو يقول فى اهتمام :

- تفضّل يا سيّدى .. سيادة المدير أمر بدخولك إليه ، فى أى وقت تشاء .

دقّ النائب باب مكتب مدير المخابرات ، وما إن سمع صوته يدعوه إلى الدخول ، حتى اندفع إلى حجرته ، قائلاً :

- معلومات بالغة الأهمية ، من (نيويورك) يا سيّدى .

أشار إليه المدير بالجلوس ، وهو يسأله :

- من (ن - ١) ؟!

أجابه الرجل فى حزم :

- ومن (وصفى) أيضًا يا سيدى .

التقى حاجبا المدير ، وهو يمدُّ يده إليه ، قائلاً :

- ما الذى أرسله (ن - ١) ؟!

أجابه نائبه ، وهو يناوله ورقة مطوية :

- لقد أرسل رسالة شفرية ، عبر شبكة الانترنت الآمنة ، قال فيها : إن الأربعة الكبار قد وصلوا إلى (نيويورك) ، وأنهم فى سبيلهم إلى عقد اجتماع سرى بالغ الأهمية والخطورة ، مع السنيورا .

ارتفع حاجبا المدير ، وهو يفضّ الورقة ، قائلاً :

- حقا ؟!

راحت عيناه تلتهمان سطور الرسالة الشفرية فى سرعة ، قبل أن يرفعهما إلى نائبه ، قائلاً :

- عجبًا ! إنه يؤكد قدرته على حضور ذلك الاجتماع ، ومعرفة ما سيتحدثون فيه ..

ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

هزَّ النائب كتفيه ، قائلاً :

- مع رجل مثل العميد (أدهم) ، يمكن أن يعنى هذا أى شىء ، وكل شىء ، فقد يدس أجهزة مراقبة وتنصّت ، فى مكان الاجتماع ، أو يتنكر فى هيئة أحدهم ، أو حتى يجنِّد أحد الحاضرين ، بشكل أو بآخر ، ليصبح عينًا وأذنًا له ، داخل مقر الاجتماع .

تراجع المدير فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- أنت على حق .. كل شىء يمكن حدوثه .

تنحنح نائبه ، قائلاً :

- ولكن هناك مشكلة ..

اعتدل المدير فى مقعده ، قائلاً فى توتر :

- أية مشكلة ؟!

ناوله نائبه ورقة ثانية ، وهو يقول :

- (وصفى) أرسل برقية شفرية عاجلة من (نيويورك) ، يقول فيها : إن العميد (أدهم) قد توصّل إلى المكان ، الذى يخفى فيه (أوكونور) (قدرى) ، وأنه أسند مهمة استعادته إلى (وصفى) و(منى) : ولقد قاما بمحاولة لاستعادته ، من ناقلة

بترول تدعى (ثندر بيرد) ، تمتلكها مجموعة مؤسسات (سيتاديل) ، وحتى يمنح (منى) فرصة دخول الناقلة، صنع (وصفى) انفجارًا عند المؤخرة ، لجذب انتباه طاقم الحراسة ، ولكنه فوجئ بعدها بانفجار ثان عند المقدمة ، ثم رأى طاقم الحراسة يفتعل انفجارًا ثالثًا عند المقدمة ، ليوقع بعده (منى) فى الفخ .

سأله المدير ، وقد تضاعف توتره :

- وهل وقعت فيه ؟!

أومأ النائب برأسه إيجابًا ، وقال :

- للأسف يا سيدى .

مطَّ المدير شفتيه مستنكرًا فى ضيق ، فتابع النائب فى سرعة :

- المشكلة أن العقيد (أدهم) لم يعلم بهذا بعد .

تطلَّع المدير إليه فى تساؤل ، فاستطرد :

- إنه الآن يستعد لاختراق اجتماع العمالقة ، ولو أنه علم بأمر (منى) و(قدرى) ، فسيندفع لإنقاذهما ، متجاهلاً أى أمر آخر ، وهذا ليس فى صالح المهمة أبدًا . انعقد حاجبا المدير فى شدة ،

ونهض من خلف مكتبه فى صمت ، متجهًا إلى النافذة الكبيرة ، وتطلَّع عبرها بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى نائبه ، قائلاً :

- ولو ظلَّ على جهله بالأمر ، فربما أدَّى هذا إلى مصرع (منى) و(قدرى) على يد رجال (أوكونور) .

قال النائب فى سرعة :

- بل على يد السنيورا .

هتف المدير فى دهشة :

- السنيورا ؟!

أجابه نائبه :

- نعم يا سيدى .. السنيورا .. لقد رآها (وصفى) و(منى) تهبط بالهليوكوبتر ، على سطح ناقلة البترول ، قبل أن تقتحمها الأخيرة .

راجع المدير برقية (وصفى) فى سرعة ، قبل أن يقول فى حزم :

- (وصفى) يقول : إنهما اعتقدا أنها السنيورا ، ولكن ليس لديهما ما يؤكد هذا .. إنهما حتى لم يريا ملامحها ولم يحددا هويتها بالضبط .

لوَّح النائب بيده ، قائلاً :

- ولكن الأمر لا يحتاج إلى استنتاج عبقرى يا سيدى .. الأربعة الكبار اجتمعوا فى (نيويورك) ، وسيدة شقراء تهبط بالهليوكوبتر ، على متن (ثندر بيرد) ، ويستقبلها الحراس باهتمام بالغ ، يشف عن أهميتها وخطورتها ، فمن يمكن أن تكون إذن ؟!

قال المدير فى صرامة :

- الاستنتاج وحده لا يكفى ، فى مثل هذه الأمور البالغة الخطورة .

وعاد إلى مكتبه ، مستطردًا :

- وفى كل الأحوال ، لا بد وأن نجيب السؤال الرئيسى .. هل نبلغ (أدهم) بالأمر أم لا ؟!

هزَّ النائب كتفيه لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

- رأيى ألا نخبره الآن يا سيدى .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، فتابع النائب فى سرعة :

- العميد (أدهم) يسعى الآن لإنقاذ العالم أجمع ، من خطر داهم ، يمكن أن يؤدى إلى السيطرة على أمنه واقتصاده إلى الأبد ، وهو يعمل فى سبيل هذا بكل قوته وخبرته وبراعته ، ويجتاز ، فى هذه اللحظة بالذات ،

أدقّ وأشقّ مرحلة من مراحل الصراع ، وليس من الحكمة أن نفسد كل هذا ، بإخباره أن (منى) و(قدرى) داخل (ثندر بيرد) .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء ، فاستطرد النائب ، فى شىء من الحماس :

- إنه اختيار محسوم يا سيدى .. إما (منى) و(قدرى) ، أو العالم أجمع .. لا أحد يمكنه أن يتردد لحظة ، فى اختيار كهذا .. ثم إنه هناك أمر بالغ الأهمية ، فى حساب موقفنا هذا ، وهو أن مصير (قدرى) و(منى) مجهول تمامًا :

لوَّح المدير بسبابته ، قائلاً فى بطء :

- وهذا ما يقلقنى .

أجابه النائب فى سرعة :

- يوجد احتمالان لا ثالث لهما .. إما أن السنيورا قد تخلصت منهما على الفور ، أو أنها تحتفظ بهما كورقة رابحة ؛ للضغط على العميد (أدهم) ، فى الوقت المناسب ، وفى الحالتين لن يضيرنا أن ننتظر ، حتى ينتهى اجتماع العمالقة .

درس المدير الأمر فى عقله بسرعة ، ثم قال فى حزم :

- فليكن .. دعنا نضع حلاً وسطًا .

سأله النائب فى اهتمام :

- مثل ماذا ؟!

أجابه المدير :

- سنبث الخبر إلى العميد (أدهم) ، عبر شبكة الأنترنت الآمنة ، وهو لن يقرأه الآن بالتأكيد ، ما دام منشغلاً باجتماع العمالقة .

سأله النائب فى قلق :

- وماذا لو قرأه قبل الاجتماع ؟!

شبك المدير أصابعه أمام وجهه ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، قبل أن يجيب فى حزم صارم ، وبلهجة من حسم الأمر :

- سيكون عليه عندئذ أن يتخذ القرار بنفسه .

قالها بلهجة رجل يعرف جيدًا كيف يفكر الرجل .. رجل المستحيل !

★ ★ ★

احتقن وجه (سام أوكونور) فى شدة ، وهو يتحدث عبر هاتفه المحمول ، قائلاً فى عصبية شديدة :

- كلا .. لم أكن أتوقع هذا أبدًا بالطبع .. لقد فاجأنى

الأمر حتى كدت أنفجر غيظًا ، أمام (ماسومى) ورجاله .

وصمت بضع لحظات ، وهو يتحرك فى جناحه بمنتهى التوتر ، قبل أن يقول :

- هذا هو سبب اقتحامه قصرى بالتأكيد .. لقد دس جهاز التنصت هذا فى ساعتى ، ليستمع إلى كل ما نقوله .

ثم توقف فجأة ، واحتقن وجهه فى شدة ، هاتفًا :

- ماذا ؟! .. هاجمت (ثندر بيرد) !!

هبَّ (بيركينز) من مقعده ، قائلاً فى انفعال :

- هل توصلوا إلى الناقلة !!

أشار إليه (أوكونور) فى عصبية ، وهو يقول عبر الهاتف :

- لقد عرف الأمر عبر جهاز التنصت بالتأكيد .. اللعنة ! لقد عرف بأمر زميله .. ترى ما الذى عرفه أيضًا ؟!

سأله (بيركينز) فى لهفة :

- هل استعادوا البدين ؟!

أشار إليه (أوكونور) مرة أخرى فى حدة ، وهو يقول عبر الهاتف :

- كلاً .. لم يعرف أى شىء آخر بالتأكيد .. كلاً .. أؤكد لك أننا لم نقل أى شىء آخر ..

ثم احتقن وجهه ثانية ، وهو يهتف :

- لم نذكر أى شىء عن مكان الاجتماع بالطبع .. كيف نذكره ، ونحن نجهل كل شىء عنه ؟!

لانت ملامحه مرة أخرى فى سرعة ، وهو يستمع فى اهتمام ، قائلاً :

- نعم .. سنستقل طائرات الهليوكوبتر ، التى سترسلينها لنا ، ثم ... آه .. فهمت .. فليكن .. كلاً .. اطمئنى .. سننفذ أوامرك كلها .

وأنهى الاتصال ، وهو يفكر فى عمق ، فسأله (بيركينز) فى اهتمام :

- هل أنقذوا اليدين ؟!

أجابه (أوكونور) فى شرود :

- ليس بعد .

همّ (بيركينز) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن (أوكونور) التفت إليه ، قائلاً فى صرامة :

- استعد .. سنذهب إلى الاجتماع .

سأله (بيركينز) فى حيرة :

- أستعد بماذا ؟!

صاح به (أوكونور) :

- ارتد ثيابك ، وأحضر ما تبقى من ثيابى أيها الأحمق .

أسرع (بيركينز) ينفذ ما طلبه سيده ، الذى ارتدى سترته ، قائلاً :

- سنستقل سيارتى المصفحة الخاصة ، وسنذهب إلى أحد المطارات فى الضواحى ، حيث ستنتظرنا هليوكوبتر من طائرات السيدة :

أشار (بيركينز) بإبهامه ، قائلاً :

- هل سنذهب جميعًا ؟!

سأله (أوكونور) فى عصبية :

- ماذا تعنى بجميعًا هذه ؟!

أجابه مرتبكًا :

- أعنى مستر (ماسومى) ، ومستر (كريستوفرسن) ، ومستر (مالينوفيتشى) ، ورجالهم ، و ....

قاطعه (أوكونور) فى ضجر :

- كلاً .

ثم أضاف ، وهو يعقد رباط عنقه :

- كل منا سيذهب منفردًا ، وإلى مطار يختلف عما سيذهب إليه الآخرون ..

والتمعت عيناه ، وهو يبتسم مستطردًا .

- السيِّدة عبقرية بحق .

هم (بيركينز) بقول شيء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، وأشار إلى رئيسه ، قائلاً :

- تفضَّل يا مستر (أوكونور) .

تقدَّم (أوكونور) بخطوات سريعة ، وما إن غادر الجناح ، حتى سمع صوتًا يهتف بلكنة روسية واضحة :

- آه .. (سام) .. كيف حالك يا رجل ؟!

مطَّ (أوكونور) شفتيه في امتعاض ، ثم عاد يرسم عليهما ابتسامة زلفة ، وهو يلتفت إلى (مالينوفيتشى) ، قائلاً :

- إذن فقد وصلت إلى (نيويورك) ، أيها العبقرى الروسى .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (مالينوفيتشى) ، وهو يتقدَّم نحوه فى برود ، واضعًا كفيه فى جيبى معطفه الأسود الطويل ، وشعره الأشقر يتطاير خلفه ، وقال :

- مبادرة طريفة يا (سام) ، ولكن الشيء الوحيد الذى تثبته ، هو أنك ممثل فاشل يا صديقى العجوز .

كاد (أوكونور) يبصق فى وجهه ، وهو يحافظ على ابتسامته فى صعوبة ، قائلاً :

- وأنت رجل مال ناشئ يا عزيزى (إيفان) .

هزَّ الروسى كتفيه ، قائلاً :

- ربما كنت ناشئًا ، ولكننى لست فاشلاً أبدًا .

قال (أوكونور) فى ضيق :

- هذا ما ستثبته الأيام .

أطلق (إيفان) ضحكة قصيرة ، ومال نحوه ، وهو يخرج يمناه من جيب معطفه ، ويقبضها أمام وجهه ، قائلاً :

- لقد أثبتته بالفعل يا رجل .

احتقن وجه (أوكونور) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتراجع مطلقًا ضحكة أخرى ، قبل أن يستطرد :

- إننى المسئول الأوَّل عن الأمور كلها الآن .. أليس كذلك ؟!

ازداد احتقان وجه (أوكونور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- هذا ما يقلقنى .

ثم استدار يكمل طريقه ، فلوّح (مالينوفيتشى) بقبضته خلفه ، مستطردًا :

- الفرار لن يغيّر الواقع أيها الأمريكى .

واصل (أوكونور) طريقه نحو سيّارته ، مغمغمًا :

- كم أتمنى أن أطلق النار على رأسه .

هزّ (بيركينز) كتفيه دون أن يجيب ، وأسرع يفتح باب السيارة المصفحّة لرئيسه ، فى حين ابتسم (مالينوفيتشى) فى سخرية ظافرة ، وهو يقول :

- أخيرًا ستثبت لكم أننا الأقوى أيها الأمريكيون .

بلغت عبارته مسامع (أوكونور) ، وهو يركب سيارته ، فمطّ شفتيه فى امتعاض ، ودلف إلى السيارة ، وهو يتمتم فى حنق :

- يا للروسى اللعين !

ركب (بيركينز) إلى جواره ، وهو يقول :

- من الواضح أنك تبغضه كثيرًا يا مستر (أوكونور) .

أومأ (أوكونور) برأسه ، ولوّح بيده ، قائلاً :

- كل من يعرفه لا بد أن يبغضه .

ثم أشار إلى السائق ، مستطردًا فى صرامة :

- اهبط يا رجل .. (بيركينز) سيقود السيّارة .

أسرع السائق يغادر السيارة ، فى حين انتقل (بيركينز) إلى مقعد القيادة ، وهو يقول :

- كما تأمر يا مستر (أوكونور) .. كما تأمر .

وأدار محرك السيّارة المصفحة ، وانطلق بها على الفور ، متسائلاً :

- إلى أين ؟!

صمت (أوكونور) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- مطار (باريهود) .

انطلق (بيركينز) بالسيارة المصفحة فى صمت ، ولم يتبادل كلمة واحدة مع (أوكونور) ، طوال الطريق إلى مطار (باريهود) هذا ، حتى بلغه فى تمام الثانية عشرة ، فغمغم :

- المطار يا مستر (أوكونور) .

أشار إليه الملياردير الأمريكى ، قائلاً :

- اترك السيارة هنا ، وسنستقل تلك الهليوكوبتر هناك .

سأله (بيركينز) ، وهو يغادر السيارة :

- إلى أين يا مستر (أوكونور) ؟!



هز « بيركينز » كتفيه بلا مبالاة ، وتبعه حتى الهليوكوبتر ، وهناك استوقفهما رجل مفتول العضلات . .

أجابه الرجل فى صرامة :

- إلى حيث تأخذنا الهليوكوبتر يا رجل .

قالها ، وتقدَّم نحو الهليوكوبتر ، مستطردًا :

- السّدة لا تفصح عن أسرارها الخاصة قط .

هزَّ (بيركينز) كتفيه بلا مبالاة ، وتبعه حتى الهليوكوبتر ، وهناك استوقفهما رجل مفتول العضلات ، ممشوق القوام ، يرتدى منظارًا طبيًا داكنا ، وقال فى صرامة ، وهو يمسك مسدسًا ضخمًا ، متحفزًا للانطلاق فى أية لحظة :

- قفا للتفتيش .

احتقن وجه (أوكونور) ، وهو يقول فى حدة :

- تفتيش ؟! تفتيشى أنا ؟! أنا (سام أوكونور) ، الـ ...

بتر عبارته فى حنق شديد ، عندما تجاهل الرجل كلماته ، وراح يفتشه فى صرامة ، ثم تركه لشخص آخر ، استخدم فى تفتيشه جهاز كشف إليكترونيًا ، فى حين راح هو يفتش (بيركينز) ، الذى غمغم فى عصبية ، وهو يستند إلى كتف (أوكونور) :

- هذا إجرا غير محترم .

تجاهله الرجل مرة أخرى ، وهو ينتزع مسدسه الضخم من حزامه ، فهتف (بيركينز) :

- مسدسى .. لا يمكننى السير دونه .

قال الرجل فى صرامة :

- لا أسلحة .

احتقن وجه (أوكونور) أكثر ، وهو يقول :

- هذه التصرفات سوف ...

قاطعه الرجل فى صرامة ، وهو يدفعه نحو الهليوكوبتر ، قائلاً :

- هيا .. لقد تأخرتما .

احتلَّ (أوكونور) مقعده داخل الهليوكوبتر ، وجلس إلى جواره (بيركينز) ، وهو يهمهم بكلمات غاضبة ، وانطلقت بهما الهليوكوبتر على الفور ، وانطلقت نحو الغرب ، فغمغم (أوكونور) فى حنق :

- السيِّدة تبالغ كثيراً هذه المرة .

تمتم (بيركينز) :

- يبدو أن الأمر خطير للغاية .

تنهَّد (أوكونور) ، قائلاً :

- هذا صحيح .. إننا سنتخذ فى هذا الاجتماع

قرارات بالغة الأهمية والخطورة ، تتعلَّق بمصير العالم كله .

ارتفع حاجبا (بيركينز) لحظة فى دهشة ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلا :

- الأمر يستحق إذن .

تمتم (أوكونور) :

- بالتأكيد .

شملهما الصمت بعدها ، والهليوكوبتر تواصل انطلاقها ، عبر (نيويورك) كلها ، قبل أن تتجه نحو مطار خاص ، وتهبط إلى جوار طائرة كبيرة ، عند ممر الإقلاع الرئيسى ، فتمتم (بيركينز) :

- يبدو أنهم سيحملوننا إلى مكان آخر .

تمتم (أوكونور) :

- يبدو هذا .

غادرا الهليوكوبتر ، ووجدا أمامهما العمالقة الثلاثة الآخرين ، كل بصحبة حارسه الخاص ، وبدا الروسى بالذات أكثرهم مرحًا ، وهو يلوِّح بذراعه ، قائلاً :

- مرحبًا يا (سام) .. أراهن على أنك تتساءل عن سبب قدومنا إلى هنا .. أليس كذلك ؟!

رمقه (أوكونور) بنظرة ساخطة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فقهقه (مالينوفيتشى) ضاحكاً مرة أخرى ، وهو يقول :

- أرأيت أيها الأمريكى !! أنا بالفعل من يمسك مقاليد الأمور الآن .

ثم مال نحو (سام أوكونور) ، وأشار إلى صدره ، مستطرداً .

- أنا وحدى أعرف لماذا نحن هنا .

أدار (أوكونور) عينيه إليه فى حدة ، فى حين هتف (بيركينز) مبهوراً :

- حقاً ؟!

قهقه (مالينوفيتشى) ضاحكاً فى ظفر ، على نحو أحنق (أوكونور) أكثر ، فالتفت إلى (بيركينز) بنظرة غاضبة ، جعلت هذا الأخير ينكمش فى مكانه ، متمتماً :

- احم .. أعنى أن هذا لا يشغلنا كثيراً .

سأله الروسى فجأة :

- لماذا نحن هنا فى رأيك ؟! ولماذا نقف إلى جوار هذه الطائرة الكبيرة ؟!

أجابه (بيركينز) فى حذر ، وهو يتطلع إلى (أوكونور) :

- لأن هذه الطائرة الكبيرة ستنقلنا إلى موضع الاجتماع .

تراجع (مالينوفيتشى) ، مطلقاً ضحكة ساخرة عالية طويلة ، وهو يقول :

- خطأ يا رجل .. خطأ ..

ثم عاد يميل نحو (أوكونور) ، مضيفاً :

- سأخبركما أنا لماذا ؟!

وعندما شرح لهما الأمر ، ارتفعت حواجبهما فى دهشة عارمة .

هذا لأن ما فعلته السنيورا كان يعنى أنها بالفعل عبقرية ..

وإلى حدّ مذهل ..

* * *

تأوهت (منى) فى ألم محدود ، انتشر فى كيانها كله ، وهى تستعيد وعيها فى بطء ، داخل تلك الحجرة المعدنية ، فى قلب ناقلة البترول (ثندر بيرد) ...

وفى بطء ، فتحت عينيها ، وتطلعت إلى (قدرى) ، الراقد على بعد متر واحد منها ، قبل أن تهمهم :

- رباه ! لقد فشلت .

كانت تشعر بمرارة رهيبة فى حلقها ، وهى تستعيد ذكرى قتالها الأخير ، على ظهر المدمّرة ، فأغلقت عينيها فى قوة ، فى محاولة لمنع الدموع ، التى فاضت منهما ، حتى أجبرت جفنيها على الانفراج ، لتسيل على وجهها ، وهى ما زالت مستلقية أرضًا ...

ولدقيقة كاملة ، تركت لدموعها العنان ، كمحاولة لإفراغ كل شحنة التوتر فى أعماقها ، ثم لم تلبث أن مسحت دموعها بأصابعها ، متمتمة :

- لا يا (منى) ... لا تبكى .. فتاة المخابرات المصرية لا تبكى أبدًا .

ولثوان أخرى ، ظلّت مستلقية على الأرضية المعدنية الباردة ، ثم نهضت فى بطء ، واتجهت نحو النافذة المستديرة ، وألقت نظرة سريعة عبرها ، قبل أن تعود إلى (قدرى) ، وتهزّه فى رفق ، قائلة :

- (قدرى) .. استيقظ يا (قدرى) .

بدا لها فى البداية فاقد الوعى تمامًا ، لا يستجيب لأىّ مؤثرات خارجية ، فعاودت الكرّة فى إصرار ، وراحت تهزّه فى قوة أكبر ، وتقول :

- هيا .. استعد وعيك يا رجل ، ودعنا نبحث عن مخرج من هذا المأزق .

تأوّه (قدرى) فى خفوت ، وهو ينقلب على ظهره ، ثم تمتم بصوت متحشرج :

- ما ..... ماذا حدث ؟!

أجابته فى مرارة :

- لقد هُزِمنا .

كررّ ذاهلا :

- هُزِمنا ؟!

ثم لم يلبث أن فتح عينيه فى صعوبة ، وحدّق فى وجهها لحظة ، وكأنما يرى كائنًا غريبًا إلى جواره ، قبل أن يهتف فى ارتياع ؛ وجسده الضخم يعتدل جالسًا :

- يا إلهى ! ماذا تعنين ؟!

أشارت إلى باب الحجرة المعدنية فى صمت ومرارة ، فالتفت يحدّق فيه لحظة ، قبل أن يهتف بذعر أكبر :

- يا إلهى ! يا إلهى .

ثم أمسك كتفيها ، يسألها فى هلع :

- ماذا سنفعل ؟!

أزاحت يديه فى حدة ، قائلة :

- كل ما يمكننا فعله الآن ، هو التفكير فحسب :

وعادت تنهض ، مستطردة فى عصبية :

- لعلنا نجد وسيلة للخروج من هنا .

جذب (قدرى) جسده الضخم إلى الركن ، وهو يقول :

- لقد فكرت فى هذا كثيراً ، ولم أجد سوى سبيل واحد .

سألته فى اهتمام :

- وما هو ؟!

أشار إلى الباب ، مجيباً :

- موعد تناول الطعام .

ارتسم على وجهها مزيج من الدهشة والاستنكار ، فاستدرك فى سرعة :

- سنهاجمهم ؟ عندما يأتون إلينا بالطعام .. هذه هى الوسيلة الوحيدة لـ ....

قاطعته فجأة ، بإشارة صارمة من يدها ، وهى تقول فى توتر :

- مهلاً .

سألها فى قلق :

- هل أخطأت إلى هذا الحد ؟!

أشارت إليه مرة أخرى ، قائلة :

- اصمت .

ثم اتجهت إلى الباب فى سرعة ، وألصقت أذنها به ، فسألها فى قلق :

- ماذا هناك ؟!

أجابته فى انتباه شديد :

- هناك قتال يدور فى الخارج .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

- قتال .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهما صوت مزلاج الباب ، وهو يدور فى الخارج ، فتراجعت (منى) ، وهى تضمّ قبضتها ، قائلة فى حزم :

- ابتعد إلى الركن .

انفتح الباب فى هذه اللحظة ، فاندفعت نحوه ، مطلقة صيحة قتالية قوية ، و ...

« إنه أنا .. »

انطلق هتاف الرجل بالباب ، فحدقت فى وجهه ، هاتفة :

- رباه ! (وصفى) ؟! كيف وصلت إلى هنا ؟!

أجابها فى حزم :

- هذا لا يهم الآن ، بقدر ما يهمنا جواب السؤال الآخر .. كيف سنخرج من هنا .

قالها ، وهو يلقى إليها مدفعًا آليًا ، فالتقطته ، قائلة فى حماس :

- سنشقّ طريقنا بالدم .

هتف (قدرى) فى حنق :

- وماذا عنى ؟!

أجابته (منى) مداعبة :

- ربما استخدمناك كساتر واقٍ .

مطّ شفتيه ، هاتفًا :

- أما زالت قادرة على المزاح ، فى ظروف كهذه ؟!

جذبت مشط مدفعها الآلى ، قائلة فى حزم :

- وعلى القتال أيضًا .

ثم أشارت إلى (وصفى) ، قائلة :

- هيا بنا .

واندفع الثلاثة إلى سطح ناقلة البترول ..

وانطلق هتاف تحذير ، من أحد رجال طاقم الحراسة :

- الأسرى يفرّون .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت الرصاصات من الجانبين ..

وتحرّك سطح ناقلة البترول إلى جحيم ..

جحيم حقيقى .

* * *



٨- بين السماء والأرض ..

« ماذا فعلت أمس ؟! »

همس البولندى (بولانسكى) بالسؤال ، فى أذن (دى مال) ، وهما يتناولان طعام الإفطار ، فى تلك الساعة المبكرة من الصباح ، فأجابه الفرنسى فى عصبية :

- لم يكن هذا أمس .. كان منذ بضع ساعات فحسب .

مطَّ البولندى شفتيه ، وكأنما لم ترق له هذه الفذلكة ، الزمنية ، وقال فى حدة دون أن يرفع صوته :

- حسنٌ .. ماذا فعلت ، منذ بضع ساعات ؟!

تنهَّد (دى مال) ، قائلاً فى مرارة :

- (لورانزو) كشف الأمر .

هتف (بولانسكى) مبهوتًا :

- حقًا ؟!

أومأ (دى مال) برأسه إيجابًا ، وقد منعته تلك الغصة

فى حلقه من التفوّه بحرف واحد ، فقال (جولهى) فى حنق :

- لقد حذرتكما .. إنكما ستتسبَّبان فى موتنا حتمًا .

قال (دى مال) فى عنف :

- وماذا تتصوَّر مصيرنا ، لو لم نفعل يا رجل ؟! هل ستطلق تلك السنيورا سراحنا ، مع كل التقدير والاعتزاز ، بعد أن أصبحنا نعرف هويتها بهذه الدقة ؟!

قال فى حنق هامس :

- ولِمَ لا ؟! بعد أن يتحقَّق لها ما تريد ، لن يعنيها كثيرًا أن تخفى هويتها .

أضاف (استروتيسكى) فى حذر :

- ثم إنها ستظلّ بحاجة إلينا ؛ لإنتاج مزيد من القنابل الذرية عند الحاجة .

قال (دى مال) فى توتر :

- المشروع الذى لدينا يتضمَّن إنتاج أربعين قنبلة نووية .. هل تعتقدون أنها يمكن أن تحتاج إلى المزيد ، للسيطرة على العالم أجمع ؟

أجابه (بولانسكى) فى سرعة :

- يمكننى أن أصل إلى هذا الهدف بخمس قنابل فحسب .

تمتم (استروتيسكى) فى حدة :

ـ مستحيل !

أجابه (بولانسكى) متحديًا :

ـ هل تراهن ؟!

هزّ (استروتيسكى) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لن يمكنك إقناعى أبدًا .

كرّر (بولانسكى) فى إصرار :

ـ هل تراهن ؟!

مطّ (استروتيسكى) شفتيه دون أن يجيب ، فتابع (بولانسكى) فى حماس :

ـ سأطلق قنبلة واحدة فى البداية ، فى منطقة صحراوية قاحلة ، لإعلان وجودى فحسب ، ثم أعقبها بأخرى ، فى منطقة مزدحمة بالسكان ، وعندئذ سيعلم العالم كله مدى جديتى ووحشيتى ، وسيتأكّد من أننى لا أتراجع قط عن تنفيذ ما أنذر به ، وبعدها لن يكون من الصعب أن تسيطر .

سأله (دى مال) فى حنق :

ـ وماذا عن القنابل الثلاث المتبقية ؟!

هزّ (بولانسكى) كتفيه ، مجيبًا :

ـ بين الحين والآخر سيحدث تمرُّد هنا ، أو انقلاب هناك ، وعندئذ ستحتاج إلى قنبلة ثالثة ، وربما رابعة ؛ لإعادة الأمور كلها إلى نصابها .

سأله (جولهى) فى فضول :

ـ ستتبقى واحدة .. أليس كذلك ؟!

ابتسم (بولانسكى) ابتسامة مقيتة ، وهو يجيب :

ـ لا بد من وجود قوة احتياطية .

مطّ (دى مال) شفتيه ، وهو يتطلّع إليه فى امتعاض ، قبل أن يشيح بوجهه ، قائلاً فى ازدراء :

ـ من الواضح أنك لا تختلف كثيرًا عن المنيورا .

صمت (بولانسكى) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ كلاّ .. أننى أختلف عنها تمامًا .

ثم مال نحو (دى مال) ، مستطردًا فى حدة ، وهو يشير بسبابته إلى رأسه فى عصبية :

ـ فتلك الأفكار المريضة لا تغادر رأسى ، إلى عالم الواقع ، قط .

عاد (دى مال) يلتفت إليه ، ويحدّق فى وجهه لحظة فى دهشة ، وكأنما يراه لأوّل مرة ، قبل أن يغمغم :

- أنت على حق .

هتف بهم (لورانزو) من بعيد :

- فيم تتحدثون ؟!

أجابه (استروتيسكى) فى حدة :

- إنها محاورة علمية .. هل تحب الانضمام إلينا ؟!

رمقه (لورانزو) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- ربما فيما بعد .

ثم مال على أذن أحد رجاله ، مستطردًا :

- حاول أن تلتقط كل كلمة يتبادلونها .

لم ينتبه الرجال الأربعة إلى ذلك ، و (جولهى) يقول هامسًا :

- المهم ، ما الذى وجدت عليه كشك التوزيع الكهربى ؟!

أجابه (دى مال) :

- عتيق وتقليدى للغاية ، ولا يتناسب قط مع باقى المكان ، ويغلقه رتاج قديم ، وقفل صدئ .

هتف (بولانسكى) فى صوت خافت :

- عظيم .. لن تكون هناك مشكلة فى اقتحامه إذن .

قال (دى مال) فى سرعة :

هذا لو أنه مصدر التوزيع الكهربى بالفعل .

سأله (استروتيسكى) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟!

أشار بيده ، وهو يجيب همسًا :

- أعنى أن مفاعلاً ذريًا ضخمًا كهذا ، لا يمكن ، من الناحية العميلة ، أن يعتمد على كشك توزيع كهرباء تقليدى إلى هذا الحد .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يسأله (جولهى) !

- هل تعتقد أن وجود هذا الكشك مجرد خدعة ؟!

هزّ (دى مال) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا ، ولكنه يستخدم لإضاءة المبنى الإدارى ، أو عنابر النوم والحراسة فحسب .. أما المفاعل نفسه ، فهو يستخدم مصدرًا أكثر تطورًا بالتأكيد .

سأله (استروتيسكى) فى قلق شديد :

- وكيف يمكن التوصل إلى ذلك المصدر المتطور ؟!

هزّ (دى مال) كتفيه ، وهو يقول فى حذر :

- ربما بوساطة الكمبيوتر .

أشار (بولانسكى) بيده ، قائلاً فى أسف :

- لقد حاولت ، وفشلت .. السنيورا تحفظ كل المعلومات الأساسية والأمنية ، داخل ملف خاص ، تحميه شفرة شديدة التعقيد ، لا أحد يمكنه اختراقها قط .

قال (جولهى) فى حذر :

- ولِمَ لا نحاول مجتمعين ؟!

سأله (استروتيسكى) فى قلق :

- كيف ؟!

أجاب فى سرعة :

- إننا نستخدم هنا نظام (ويندوز) شبكى ، وهذا يعنى أن كلاً منا يمكنه العمل على البرنامج نفسه ، فى نفس الوقت ، فلماذا لا نركز جهودنا جميعًا على دخول ملف السنيورا السرى .

تراجع (استروتيسكى) ، قائلاً فى ذعر :

- لا .. هذا بالغ الخطورة للغاية .. هذه النظم الأمنية تسجِّل كل محاولات الاختراق ، وستعلم السنيورا بما نفعله .

قال (دى مال) فى صرامة :

- ليس أمامنا بديل .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة :

- إلاَّ تدمير العالم كله ، وإخضاعه لسيطرة تلك الأفعى الوحشية .

ران عليهم صمت تام ، بعد عبارة (دى مال) الأخيرة ، وراح كل منهم يعيد دراسة الأمر فى رأسه مرات ومرات ..

وكان من الواضح أن الاختيار أمر ليس هينًا أو بسيطًا ..

بل هو جحيم من القلق والتوتر والخوف ..

جحيم بلا حدود ..

★ ★ ★

من المؤكد أن طاقم الحراسة ، الذى تركته الشقراء خلفها ، على متن (ثندر بيرد) ، كان يختلف تمامًا عن أولئك الذين وجدتهم عند وصولها ..

صحيح أن هوية الأشخاص لم تختلف ..

ولكن نظرتهم للأمور اختلفت كثيرًا ..

كثيرًا جدًّا ..

فخلال نصف الساعة ، التى قضتها معهم ، على سطح ناقلة البترول ، تغيَّرت وجهة نظرهم عن مفهوم الأمن تمامًا ..

لقد شرحت لهم مفهومًا متطوِّرًا للغاية ..

بل ، واستنتجت كل الخطوات التالية المحتملة .

ودرّبتهم على مواجهتها ..

لذا ، فعندما اندفع (وصفى) و(منى) و(قدرى) إلى السطح ، كان هناك فريق كامل فى انتظارهم ..

ومنذ اللحظة الأولى ، انفتحت أبواب الجحيم عن آخرها ..

وانطلقت الرصاصات من كل صوب ..

ومنذ اللحظة الأولى أيضًا ، اخترقت رصاصة ساق (وصفى) اليسرى ، فسقط صارخًا :

- تراجعا .. تراجعا .. إنهم بانتظارنا .

كانت مفاجأة رهيبة لـ (منى) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تصرّفت بمنتهى الدقة والإتقان ، بحكم اتزانها وتدريباتها عالية المستوى ..

لقد دفعت (قدرى) بكل قوتها إلى الخلف ، وانبطحت أرضًا ، وهى تطلق النيران من مدفعها الآلى بكل قوتها ، وفى كل اتجاه ، قبل أن تجذب (وصفى) ، متراجعة فى سرعة ومهارة ، إلى ذلك الممر ، الذى يحوى زنزانتها السابقة ..

وفى ألم ، هتف (وصفى) :

أغلقى الباب .. أغلقى الباب ..

أسرعت تجذب الباب المعدنى الثقيل بكل قوتها ، ودوى الرصاصات المرتطمة به يتفجّر فى أذنيها ، حتى أغلقته تمامًا ، ثم أدارت مزلاجه بكل قوتها ، و(قدرى) يهتف :

- إنه فخ .. لقد سمحوا لـ (وصفى) بالدخول ، حتى يظفروا بنا جميعًا .

أجابه (وصفى) ، وهو يمسك ساقه فى ألم :

- كلا .. لقد قتلت اثنين منهم ، حتى أصل إليكم ، ولست أظنهم يضحون برجالهم بهذه السهولة .. لقد كشفوا الأمر ، عندما فتحت باب زنزانتكما .

قالها ، وهو يشير إلى سلك صغير مقطوع ، يتدلّى من جهاز ذى شاشة رقمية ، مثبت فى إطار باب زنزانتهما المعدنى ، فزفرت (منى) ، قائلة :

- لقد كشفوا الأمر على أية حال .

ثم تلفتت حولها ، مستطردة :

- ولا بد لنا من البحث عن وسيلة ، للخروج من هنا .

أشار (وصفى) بيده ، قائلاً :

- هذا الممر يقود إلى حجرة الآلات بأسفل ، وإلى عنابر النوم الخلفية .



أسرعت تجذب الباب المعدنى الثقيل بكل قوتها ، ودوى الرصاصات المرتطمة به يتفجر فى أذنيها ..

لوَّحت بيدها ، قائلة :

ـ عنابر النوم مغلقة ، ولن تقودنا إلى شىء .. ربما لو ذهبنا إلى حجرة الآلات ...

ثم عضت شفتيها ، مستطردة فى حنق :

ـ ولكن (قدرى) لا يجيد السباحة .

استند (وصفى) إلى الجدار ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ سنجد بأسفل مجموعة من إطارات الإنقاذ المطاطية ، ويمكنه إحاطة جسده بها .

امتقع وجه (قدرى) فى شدة ، فربتت (منى) على كتفه ، قائلة :

ـ يبدو أنه ليس أمامنا حل بديل .

ارتجفت شفتاه لحظة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ عظيم .. ينبغى أن اختار إذن ، ما بين الموت غرقًا ، أو برصاص هؤلاء الأوغاد !

دفعته فى رفق ، قائلة :

ـ سنبذل قصارى جهدنا ، حتى لا تموت غرقًا .

أشار (وصفى) بيده فجأة ، قائلاً :

ـ مهلا .. هناك أمر غير طبيعى .

سألته فى توتر :

- وما هو ؟!

أشار بإبهامه إلى ما خلف ظهره ، مجيبًا :

- لقد توقفوا عن إطلاق النار ، منذ أغلقنا الباب علينا .

قالت فى عصبية :

- هذا أمر طبيعى .. إنهم يدركون أن رصاصاتهم لن تخدشه .

قال فى حدة :

- هل سيقفون مكتوفى الأيدى إذن ؟!

غمغمت مبهوتة :

- كلا بالتأكيد .

ثم عادت تدفع (قدرى) أمامها ، مستطردة فى صرامة :

- لذا ينبغى أن نسرع أكثر .

سألها (قدرى) ، وهو يعدو أمامها لاهثًا :

- هل تعتقدين أنهم سينسفون الباب ؟!

هتفت مستنكرة :

- داخل ناقلة بترول ؟! مستحيل بالطبع .. إنه ليدهشنى حتى أنهم قد أطلقوا النار .

جذب (وصفى) ساقه المصابة ، فى محاولة للحاق بهم ، وهو يهتف :

- ولكنهم سيفعلون شيئًا بالتأكيد .

غمغمت :

- بالتأكيد .

ثم توقفت فجأة ، هاتفة فى حنق :

- يا للأوغاد !

سألها (قدرى) مذعورًا :

- ماذا حدث ؟!

أشارت بمدفعها إلى باب معدنى ضخم مغلق ، وهى تقول فى سخط :

- الباب ، الذى يقود إلى حجرة الآلات مغلق .

ثم اندفعت نحو الباب ، وحاولت أن تدير مزلاجه بكل قوتها ، قبل أن تهتف :

- لا فائدة .. إنه مغلق من الداخل .

امتقع وجه (قدرى) أكثر وأكثر ، وتراجع فى ارتياع ، وهو يردد :

- ما الذى يفعلونه بنا ؟! ما الذى يعدونه لنا ؟!

تلفت (وصفى) حوله مرة أخرى ، قبل أن يقول متوترًا :

ـ رباه !! لقد فعلوها .

أدارت (منى) وجهها فى سرعة ، إلى حيث يشير ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، عندما وقع بصرها على ذلك الدخان ، الذى يتسلل من أجهزة التهوية ، وينتشر فى سرعة ، بمحاذاة السقف ، وقالت ، وهى تجذب (قدرى) إليها :

ـ إنهم يحاولون خنقنا بالدخان .

راح (قدرى) يدور فيما حوله ، هاتفًا فى رعب :

ـ ماذا نفعل ؟! ماذا نفعل ؟! صاحت به (منى) :

ـ ابدأ بالانبطاح أرضًا ، فمن الواضح أن هذا النوع من الغازات أخف من الهواء ، لأنه يتجمّع فى سقف المكان ، وسيمضى بعض الوقت ، حتى يبلغ القاع .

هتف (وصفى) :

ـ لهذا لم يكن هؤلاء الأوغاد بحاجة لإطلاق رصاصة واحدة .

خفضت رأسها فى توتر شديد ، وراحت تتلفّت حولها ، قبل أن تسأل (وصفى) :

ـ إلى أين يقود هذا الباب هناك ؟!

تطلّع إلى الباب الذى تشير إليه ، مجيبًا فى حيرة :

ـ لست أدرى .. إنه ليس ممرًا تقليديًا ، فى مثل هذا النوع من ناقلات البترول الضخمة .

ثم اتجه نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن لن يضيرنا أن نختبره .

صوّبت مدفعها إلى الباب فى تحفز ، فى حين أدار (وصفى) مزلاجه فى حذر ، وأدهشه أن استجاب المزلاج فى يسر ، حتى انفتح الباب ، فدفعه إليه ، وهو يلتصق بالجدار ، فى حين تحفّزت (منى) لإطلاق النار ، عند أوّل بادرة شك ...

ولكن شيئًا لم يحدث ..

وبعد نصف دقيقة من الانتظار الحذر المتحفّز ، قالت فى حزم :

ـ هيا بنا .

عبرت هى الباب فى البداية ، وصاحت :

ـ هناك سلم يقود إلى أسفل .

غمغم (وصفى) :

ـ عظيم .

ثم أشار إلى (قدرى) ، مستطردًا :

ـ من بعدك .

كان وجه (قدرى) أبيض اللون كوجوه الموتى ، وهو يتمتم فى شحوب :

ـ لن يتسع لى هذا الباب .. لن يمكننى عبوره أبدًا .

دفعه (وصفى) فى حزم ، قائلاً :

ـ لن ندرى ، قبل أن تحاول أولاً .

خفق قلب (قدرى) فى ذعر ، وهو يعبر الباب المعدنى ، ثم تشبّث بالسلم المعدنى بكل قوته ، وهو يهبط فى حذر ، وتبعه (وصفى) ، الذى أغلق الباب المعدنى خلفه ، فى محاولة لمنع وصول الغاز إليهم ..

واستمر هبوطهم لنصف دقيقة أخرى ، قبل أن يأتى صوت (منى) من أسفل ، وهى تهتف :

ـ إنه مخزن مسروق ، كما يقولون عنه .

لم يفهم (وصفى) ما تعنيه بالضبط ، حتى وصل إلى المكان ، الذى كان عبارة عن حجرة واسعة ، خالية تمامًا ، إلا من عدة فتحات صغيرة فى قمتها ، لتهوية المكان على الأرجح ..

وقبل حتى أن يخرج من بين شفتيه حرف واحد ، تعالت ضجة فى أعلى ، جعلت (منى) تقول فى عصبية :

ـ رباه ! لقد أحكموا إغلاق الباب خلفنا .

عاد وجه (قدرى) يمتقع فى شدة ، وهو يتراجع ليلتصق بجدار الحجرة ، قبل أن تعجز ساقاه عن حمله ، فيتهاوى جالسًا فى ركنها ..

أما (وصفى) ، فقد ضرب الجدار بقبضته ، هاتفًا :

ـ اللعنة ! هذا ما كانوا يسعون إليه بالضبط .. لقد أجبرونا ـ دون أن ندرى ـ على دخول المكان الوحيد ، الذى أرادوا وجودنا فيه .

رفعت (منى) عينيها ، إلى تلك الفتحات الصغيرة ، بالقرب من السقف ، مغمغمة فى اضطراب :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا دفعونا إلى هنا بالتحديد ؟!

قبل حتى أن تتمّ عبارتها ، كان ذلك الهدير يتردّد فى الحجرة الصغيرة ..

هدير أشبه بمياه تتدفّق فى أنابيب كبيرة ..

ثم فجأة ، اندفع ذلك السائل الأسود ، من كل فتحات السقف ..

البترول ..

لقد تدفق داخل الحجرة فى غزارة ، وعلى نحو صاح له (قدرى) :

- رباه ! سيقتلوننا غرقًا .. سنلقى مصرعنا فى بحيرة من البترول .

ولم ينبس (وصفى) أو (منى) بحرف واحد ..

الأول اتسعت عيناه فى ارتياع ، والثانية عقدت حاجبيها فى شدة ..

فلم يكن هناك ما يقال ..

لقد أوجز (قدرى) الأمر كله ، فى عبارة واحدة ..

إنهم سيلقون مصرعهم هنا ..

فى قلب بحيرة من البترول ..

النقى ..

* * *

« من كان يتصوَّر هذا ؟! »

نطق (ماسومى) العبارة فى انبهار كامل ، وهو يتطلَّع إلى ما حوله ، قبل أن يضيف مشدوهًا :

- فكرة عبقرية فريدة ، أن يُعقد الاجتماع داخل طائرة ، تحلِّق فوق المحيط الأطلنطى !! من يمكنه كشف أمر كهذا .

قهقه (مالينوفيتش) ضاحكًا ، ولوَّح بيده فى أناقة ، وهو يقول بلكنته الروسية ، ذات المقاطع القصيرة :

- فلتعرفوا إذن أن الأمر كان يستحق كل استحكامات الأمن هذه .

قال (كريستوفرسن) فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم أردف ، وهو يشعل سيجارًا ضخمًا :

- كلنا نعلم منذ البداية ، أن السيِّدة تتمتَّع بعبقرية فذة ، لا مثيل لها ، ولكننى ، وعلى الرغم من هذا ، لم أكن أتخيَّل ما فعلته .

اتجه نحوه أحد الرجال الأربعة المفتولى العضلات ، داخل طائرة الشقراء ، وانتزع السيجار من بين شفتيه ، قائلاً فى صرامة :

- التدخين ممنوع .

احتقن وجه (كريستوفرسن) فى شدة ، وهو يقول :

- ماذا ؟! أعد إلىَّ سيجارى يا هذا .. لا تحاول منع (جون كريستوفرسن) من فعل ما يشاء .

تجاهله الرجل تمامًا ، وهو يلقى السيجار الضخم فى أنبوب النفايات ، فصاح الاسترالى فى غضب :

- ماذا تفعل أيها الـ ....

قاطعه (ماسومى) ، وهو يمسك بيده ، قائلاً :

رويدك يا رجل .. إنها أوامر السيدة بالتأكيد .

احتقن وجه (كريستوفرسن) أكثر ، وهو يهتف :

ـ أوامرها ؟! ولماذا نخضع لأوامرها ؟! إننا الممولون الرئيسيون لكل ما تفعله ، وليس من حقها أن تأمرنا .. لماذا نطيع أوامرها ؟!

أدار (أوكونور) عينيه إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ كلنا نعلم جيدًا لماذا نطيع أوامرها .

تضاعف احتقان وجه الأسترالى ، حتى كاد ينفجر ، وهو يتمتم :

ـ اللعنة ! اللعنة !

قال (ماسومى) بابتسامة هادئة ، محاولاً تلطيف الجو :

ـ دعنا نعود إلى ما كنا نتحدث عنه .. تلك العبقرية ، التى صنعت حجرة اجتماعات كاملة مجهزة ، داخل طائرة كبيرة ! من يمكنه اختراق نظام أمنى كهذا ؟!

« كل نظام أمنى يحوى ثغرات يا (ماسومى) سان .. »

التفت الجميع فى حركة حادة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجبا أحدهم فى شدة ، وخفق قلبه فى قوة ،

وهو يتطلع إلى الشقراء ، التى ظهرت فجأة عند مدخل حجرة الاجتماعات الطائرة ..

هذا لأنه ، وعلى الرغم من كل توقعاته ، لم يكن مستعدًا لمواجهة تلك المرأة بالذات ، فى هذه اللحظة المعقدة ..

المرأة التى ارتسم اسمها ، فى كيانه كله ..

(سونيا) ..

(سونيا جراهام) .

* * *

٩- المواجهــــة ..

بدا الاهتمام واضحًا بشدة ، فى وجه نائب مدير المخابرات العامة المصرية ، وصوته ، وملامحه ، وهو يمدّ يده بورقة جديدة إلى المدير ، قائلاً :

- رسالة شفرية جديدة ، من العميد (أدهم) يا سيّدى .

التقط المدير الورقة فى لهفة ، وطالعها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يرفع عينيه إلى نائبه ، ويقول فى قلق :

- المفترض ، طبقًا لهذه المعلومات ، أن (ن - ١) يحضر اجتماع العمالقة الكبار مع السنيورا ، فى هذه اللحظة بالذات .

أومأ النائب برأسه إيجابًا ، وقال :

- العميد (أدهم) قادر دائمًا على صنع المستحيل .

أشار المدير بيده ، قائلاً :

- ليست هذه هى المشكلة .. أنا واثق من أنه سيجد حتمًا وسيلة لحضور الاجتماع ، ولكن .

ومال إلى الأمام ، مستطردًا :

- ولكن كيف يضمن الخروج منه سالمًا ؟!

هزّ نائبه كتفيه ، قائلاً :

- الوسيلة التى استخدمها للدخول ، ستتيح له بالتأكيد سبيل الخروج .

مطّ المدير شفتيه ، قائلاً :

- ليس بالضرورة .

ثم نهض من مقعده ، واتجه نحو النافذة ، وتطلّع عبرها بضع لحظات فى صمت ، ثم قال :

- السؤال الرئيسى هو ، كيف سيحضر الاجتماع ؟!

نهض نائبه بدوره ، وهو يقول :

- طبقًا لخبراتى السابقة فى التعامل معه ، أعتقد أنه سيستغل أفضل وأقوى مهاراته .

التفت إليه المدير ، متسائلاً :

- وهى ؟!

أجابه بسرعة ، مشيرًا بسبّابته :

- التنكّر .

ارتفع حاجبا المدير وانخفضا ، قبل أن يقول :

- آه .. بالتأكيد .. (ن - ١) يعد معجزة فى هذا

المضمار .. إنه قادر على التنكر فى هيئتك ، فتعجز أمك نفسها عن كشف أمره .

ضحك النائب ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. لى تجربة معه فى هذا المجال .

ثم استطرد فى جدية :

ـ وأنا أعتقد .. بل أكاد أثق بأنه قد استخدم هذه الوسيلة ، لحضور الاجتماع .

وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ ولكن من منهم انتحل (أدهم) شخصيته ؟!

بدا الاهتمام على ملامح النائب ، وهو يقول :

ـ كلهم يصلحون لهذا ، فيما عدا (ماسومى) ، إذ إنه أقصر قامة من (أدهم) ، وطبيعة جنسه تجعل من السهل كشف طوال القامة منهم .. إنه يستطيع انتحال شخصية (مالينوفيتشى) ، الروسى المتعجرف ، بلكنته السوفيتية المميزة ، أو (كريستوفرسن) الاسترالى البدين ، سريع الانفعال والغضب ، أو حتى (سام أوكونور) نفسه .

سأله المدير :

ـ أيهما أرجح فى رأيك .

أجابه بسرعة :

ـ (مالينوفيتشى) .. إنه يقاربه قامة وحجماً ، و ...

قاطعه المدير فى حزم :

ـ خطأ .. لو أنك تعرف طبيعة (أدهم) جيداً ، لأدركت أنه لن ينتقى أقربهم شبهاً إليه ، وإنما أبعدهم احتمالاً على الأرجح .

سأله النائب فى اهتمام بالغ :

ـ من إذن ؟! (كريستوفرسن) أم (أوكونور) ؟!

انعقد حاجبا المدير ، وهو يتساءل فى أعماقه : من منهما انتحل (أدهم) شخصيته ، ليمكنه حضور اجتماع العمالقة ؟!

من منهما ؟!

من ؟!

★ ★ ★

تنهد رئيس طاقم الحراسة ، فى قصر (سام أوكونور) ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، قائلاً :

ـ يا للشيطان ! لقد أرهقنا مستر (أوكونور) كثيراً الليلة .. إنه يصر على تفتيش كل ركن فى قصره ، قبل أن يعود إليه .

مط مساعده شفتيه ، وهو يقول :

- لقد استخدمنا جهاز كشف أجهزة التنصت بالفعل ، وتأكدنا من أن المكان نظيف تمامًا .

لوّح رئيسه بيده ، قائلاً :

- بقى أن نفتش القصر تفتيشًا تقليديًا .

غمغم مساعده :

- يا للسخافة !

حاولا أن يسترخيا بعض الوقت ، قبل معاودة عملهما ، ولكن المساعد بدا عصبيًا أكثر مما ينبغى ، وهو يقول :

- هذا الرجل طاغية بحق .

اعتدل رئيسه ، وتلفت حوله فى توتر ، قائلاً :

- رويدك يا رجل .. لا ينبغى أن يسمعك أحد تردد هذا .

أجابه فى حدة :

- ولكنها الحقيقة .. إننا لم نذق النوم لحظة واحدة ، منذ صباح أمس ، وعلى الرغم من هذا فهو يطالبنا بالعمل حتى الظهر ، دون دولار إضافى واحد .

هتف رئيسه :

اصمت يا رجل .. اصمت بالله عليك .

ارتفع صوت همهمة عصبية ، فاستطرد رئيس طاقم الحراسة فى توتر :

- ماذا قلت ؟!

أجابه مساعده فى دهشة :

- لم أقل شيئًا .

هبّ من مقعده ، هاتفًا :

- من أصدر هذه الهمهمة إذن ؟!

أجابه مساعده ، وهو ينهض بدوره فى عصبية :

- ليس أنا بالتأكيد .

أرهفا سمعيهما لحظة ، التقطت آذانهما خلالها همهمة أخرى ، فاندفع رئيس طاقم الحراسة نحو أريكة الركن ، قائلاً :

- الصوت يأتى من هنا .

لحق به مساعده ، هاتفًا :

- لقد سمعته أيضًا .

تعاونا فى إزاحة الأريكة ، والمساعد يقول فى حدة :

- إنها ثقيلة للغاية .

هتف به رئيسه :

- ادفع يا رجل .. ارفع .

أزاحا الأريكة الثقيلة عن الركن ، ومال كلاهما

يلقى نظرة خلفها ، حيث انطلقت همهمة عصبية عالية ..

واتسعت عيونهما فى ذهول مذعور ، والمساعد يهتف :

ـ يا للشيطان ! مستحيل !

فالشخص المقيَّد ، والمكمَّمْ الفم فى احكام ، والذى استعاد وعيه على الفور ، خلف تلك الأريكة الثقيلة ، لم يكن يفترض وجوده فى هذا المكان الآن ..

بل لم يكن يفترض وجوده على الأرض كلها ..

بل هناك ..

فى الطائرة المحلِّقة فوق المحيط الأطلنطى ..

حيث ذلك الاجتماع البالغ الحساسية والخطورة ..

اجتماع العمالقة ..

★ ★ ★

لثوان ، هبط على الطائرة كلها صمت مهيب ثقيل ، والكل يتطلّعون إلى (سونيا جراهام) فى انبهار كامل ..

كانت ترتدى ثوبًا أسود اللون ، عارى الكتفين ، يتعارض بشدة مع بشرتها البيضاء ، المائلة إلى الحمرة ، وشعرها الأشقر الطويل ، المنسدل على

كتفيها فى نعومة مدهشة ، ويتناغم مع القفازين الحريريين الطويلين ، اللذين يتجاوزان مرفقيها ، والتى تزين أصابعهما خواتم من الماس النقى ، تألّقت فصوصها مع ذلك العقد الذى يحيط بعنقها الجميل ..

باختصار ، كانت تحفة رائعة تخلب الأبصار ..

وعلى الرغم من قرارها الصارم بعدم التدخين ، كانت (سونيا) تضمّ شفتيها الفاتنتين على نهاية سيجارتها الرفيعة الطويلة ، وتنفث دخانها فى ثقة ساخرة ، وهى تقول :

ـ هل سيتجمّد الموقف طويلاً ؟!

كانت عبارتها أشبه بأمر بفك الجمود ، الذى أحاط بالموقف كله ، فانتفض الرجال كمن يفيق من حلم عميق ، وانطلقت منهم عبارات الترحيب والانبهار ، فاتسعت ابتسامة (سونيا) ، وهى تتقدّم إلى مقعدها ، على رأس مائدة الاهتمامات ، قائلة :

ـ يسعدنى أن حضرتم جميعًا .

أجابها (مالينوفيتشى) فى حماس :

ـ ومن يمكنه إفلات فرصة لرؤية الجمال نفسه ؟!

انعقد حاجباها فى صرامة ، وهى تقول :



فانتفض الرجال كمن يفيق من حلم عميق ، وانطلقت منهم عبارات الترحيب والانبهار ، فاتسعت ابتسامة (سونيا) ..

ـ لسنا هنا للتغزُّل فى جمالى يا (مالينوفيتشى) .

تراجع الروسى ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد يا سيِّدتى .. بالتأكيد .

تنحنح (أوكونور) ، وقال :

ـ الواقع أننا هنا ، لمناقشة مصير العالم .

تمتم (كريستوفرسن) :

ـ بالتأكيد .

وهتف (ماسومى) :

ـ هذا هو الهدف الحقيقى :

ـ اعتدل (أوكونور) فى مجلسه ، وقال فى حزم ، اكتسبه من تأييد الآخرين لقوله :

وأنا اقترح أن نبدأ الاجتماع على الفور .

ارتفعت أصوات الجميع تؤيِّد اقتراحه ، فابتسمت (سونيا) ابتسامة غامضة ، ونفثت دخان سيجارتها فى بطء ، وهى تدير عينيها فى وجوههم جميعًا ، قبل أن تلوِّح بأصابعها فى أناقة ، قائلة :

ـ سنبدأ الاجتماع على الفور ، ولكنَّ هناك أمرًا ينبغى حسمه أوَّلاً .

سأل الروسى فى قلق :

- أى أمر هذا ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، محافظة على ابتسامتها الغامضة ، وهى تقول :

- هنا شخص هنا ، لا ينبغى له أن يحضر اجتماعًا بهذه الخطورة .

تبادل الجميع نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يسأل (كريستوفرسن) فى حذر :

- أى شخص هذا ؟!

اتسعت ابتسامتها الغامضة ، وهى تدير عينيها فى وجوههم مرة أخرى ، ثم لم تلبث أن قالت فى هدوء مثير :

- الشخص الذى اتحدث عنه عبقرى فى فن التنكر ، ومحترف لا يشقّ له غبار ، فى أعمال التحايل وانتحال الشخصيات ، كما أنه أبرع رجل مخابرات عرفه التاريخ .

هتف (ماسومى) مذعورًا :

- أتقصدين (أدهم صبرى) ؟!

هبَّ (مالينوفيتشى) من مقعده ، صائحًا فى انزعاج :

- مستحيل !

واتسعت عينا (أوكونور) فى دهشة حقيقية ، فى حينِ تراجع (كريستوفرسن) فى مقعده بحركة حادة ، قائلا :

- لا .. لا يمكن أن يكون هذا الشيطان المصرى هنا .. لقد كانت إجراءات الأمن دقيقة للغاية .

أشارت (سونيا) بسبابتها ، قائلة فى حزم :

- ليس كما ينبغى .. لقد بحثنا عن أية أسلحة تحملونها ، وفحصناكم للتأكد من عدم وجود أجهزة تنصت ، ولكننا لم نفحص ملامحكم ووجوهكم .

سألها (أوكونور) فى حزم :

- ما الذى تقصدينه بالضبط ؟!

أشارت إليهم بسبابتها ، قائلة :

- أقصد أن أحدكم هو (أدهم صبرى) .

هتف (ماسومى) :

- مستحيل !

قالت فى سرعة وحزم :

- هذا هو التفسير الوحيد لذلك الارتباك ، الذى يصنعه لكم جميعًا ، منذ مساء أمس .

لقد اقتحم قصر (أوكونور) ، وحجرتى (كريستوفرسن) و(ماسومى) .

هتف (مالينوفيتشى) :

ـ ولكنه لم يقترب منى .

رمقته بنظرة صارمة ، وهى تقول :

ـ هذا لا يخرجك من دائرة الشبهات .

امتقع وجه الروسى ، على نحو يوحى بأن لـ (سونيا جراهام) تأثير مخيف على الجميع ، فى حين قال (أوكونور) فى حيرة :

ـ أتعنين أننا جميعًا موضع الشبهات ؟!

أجابته (سونيا) فى صرامة :

ـ بالتأكيد يا (سام) .. لقد كان باستطاعة (أدهم) انتحال شخصية (كريستوفرسن) ، فى ذلك الفندق ، أو شخصية (مالينوفيتشى) ، قبل أن يصل إليه ، ولكن فرصته الأكبر كانت فى قصرك يا (أوكونور) .

انعقد حاجبا الملياردير الأمريكى ، وهو يقول فى بطء حذر :

ـ أنا ؟!

أومأت (سونيا) برأسها إيجابًا فى بطء ، وهى تقول :

ـ إن اقتحامه لقصرك ظلّ يثير دهشتى وحيرتى

طويلاً ، منذ مساء أمس ، ويفجّر فى أعماقى سؤالاً قويًا : لماذا واجه كل هذه المخاطرة ؟!

قال (أوكونور) فى صرامة :

ـ ليزرع جهاز التنصّت فى ساعتى .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ كانت هناك ألف وسيلة ، بمخاطر أقل كثيرًا ، لتنفيذ هذه العملية المحدودة .

سألها (ماسومى) فى حيرة :

ـ لماذا اقتحم قصره إذن ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ ليمكنه حضور هذا الاجتماع .

بدت عليهم دهشة متوترة ، وتبادلوا نظرة عصبية للغاية ، قبل أن يقول (أوكونور) فى بطء :

ـ وكيف يمكنه اقتحام قصرى ، من حضور اجتماعنا الخاص هذا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ انتحال شخصية أحد الحاضرين هنا .

انعقد حاجبا (أوكونور) فى شدة ، فى حين هبّ (بيركينز) من مقعده ، قائلاً :

ـ مستر (أوكونور) فوق مستوى الشبهات ، واتهامه بالـ ...

قاطعته (سونيا) بابتسامة كبيرة ، وهى تشير إلى رجالها بأصابعها :

ـ ومن تحدث عن مستر (أوكونور) ؟!

وقبل حتى أن تتم عبارتها ، ارتفعت فوهات مدافع رجالها جميعًا ، نحو (بيركينز) ، فى حين أطلقت هى ضحكة قصيرة ، قائلة :

ـ إنه أنت يا عزيزى (أدهم) .. أنت تنتحل شخصية (بيركينز) .

انتفض (أوكونور) فى مكانه فى عنف ، واتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وهم يحدقون فى (بيركينز) ، الذى ظل صامتًا لحظة ، قبل أن يقول فى سخرية ، وبصوت لا يمت بأدنى صلة لطبقة صوته المعروفة :

ـ استنتاج ذكى يا (سونيا) .

تألقت عيناها فى ظفر ، وهو ينتزع قناع (بيركينز) ذى الشعر الأحمر عن وجهه ، ويلقى به فوق مائدة الاجتماعات ، فى حين شهق الجميع فى ذهول بالغ ، وهتفت (أوكونور) ، وكأنه سيسقط فاقد الوعى :

ـ ولكن هذا مستحيل ! مستحيل !

أجابه (سونيا) فى ظفر واضح :

ـ بل هو الاستنتاج المنطقى الوحيد يا رجل .. لقد فاجأ (أدهم) مساعدك (بيركينز) فى الملهى ، وحطم أنفه وأسنانه ، ثم دفع سيارته ؛ لترتطم ببوابة قصرك ، وبينما انشغل رجالك الأغبياء فى متابعة هذا ، نجح هو فى التسلل إلى حجرة نومك شخصيًا ، وعندما فوجئت به ، وأفقدك الوعى ، غادر حجرتك فى هدوء ، إلى حيث يرقد (بيركينز) ، فأفقده الوعى وانتحل شخصيته ، وشارك أغبياءك فى تفتيش القصر وفحصه .

ارتسم الذهول على وجوه الجميع ، وغمغم (أوكونور) فى انهيار :

ـ ولكن كيف ؟! كيف علم أن (بيركينز) سيقضى ليلته فى قصرى ؟!

أجابته ، وهى تطفئ سيجارتها ، وتشعل سيجارة أخرى ، دون أن ترفع عينيها عن (أدهم) ، وابتسامته الساخرة :

ـ إنه رد فعل بشرى تلقائى ، ولكن (أدهم) لم

يعتمد على هذا فحسب ؛ فقد استخدم أيضًا جهاز التنصت الدقيق ، الذى زرعه فى ثياب (بيركينز) حينذاك ، والذى نقله بعدئذ إلى ساعتك .

خيّم الوجوم على الجميع ، وهم يواصلون التحديق فى وجه (أدهم) ، الذى استرخى فى مقعده ، وكأنه يتابع حفلاً هزليًا ، وهو يقول فى هدوء عجيب :

ـ جميل أن نلتقى مرة أخرى يا (سونيا) .. كنت قد بدأت أومن بقصة مصرعك الزائفة .

اتخذت مجلسها ، على رأس المائدة ، وهى تقول :

ـ اعترف أنك قد صدقتها لوقت طويل يا (أدهم) .

هزّ رأسه نفيًا ، قائلاً :

ـ ليس بشكل مؤكدًا أبدًا .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أين ابنى يا (سونيا) ؟!

تألقت عيناها على نحو مخيف ، وهى تميل نحوه ، مجيبة :

ـ فى (إسرائيل) .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكرّر :

ـ (إسرائيل) ؟!

تراجعت مقهقهة فى ظفر ، جعله يهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ أيتها الـ ...

قبل أن تكتمل عبارته ، اندفع إطار معدنى من أسفل المقعد ، ومرّ بين قدميه ، ليضربه فى وجهه بقوة ، ويعيده إلى المقعد فى عنف ، ثم انطلقت أربع شرائح معدنية ، تقيّد يديه وقدميه إلى المقعد فى قوة ، على الرغم من مقاومته العنيفة ، وانطلقت ضحكة (سونيا) عالية ومجلجلة ، قبل أن تقول فى قسوة ، ارتجفت لها قلوب مستمعيها :

ـ خطأ يا عزيزى (أدهم) .. خطأ .. امح (سونيا) القديمة من عقلك تمامًا .. إنك تواجه الآن (سونيا) جديدة ، أكثر خبثًا ودهاءً منك ألف مرة .. (سونيا) القادرة على حساب أدق التفاصيل ، واتخاذ كل الاحتياطات اللازمة ، مهما بلغت ضآلة الاحتمالات ..

ثم عادت تميل نحوه ، متابعة :

ـ هل تتصوّر أن اختيار المقعد الخاص بـ (بيركينز) جاء عبثًا ؟! مخطئ أنت لو تصوّرت هذا يا عزيزى .. لقد كشفت شخصيتك ، قبل حتى أن تضع قدميك فى

هذه الطائرة ، وأعدت ترتيب الأمور ، لتحتل المقعد المنشود تمامًا ، و ....

قاطعها فى صرامة :

ـ لماذا أرسلت ابنى إلى (إسرائيل) يا (سونيا) ؟!

أجابته فى سرعة ، وكأنها تنتظر السؤال :

ـ أهناك انتقام خير من هذا ؟! ابنك أنت .. ابن (أدهم صبرى) ، رجل المخابرات المصرى ، وأقوى رجل مخابرات عرفه التاريخ ، ينشأ ويترعرع فى قلب (إسرائيل) ، ويتلقى التعاليم الهيودية الصهيونية على يد حكمائها ، حتى يبغض ، أكثر ما يبغض ، كل كيان عربى فى الوجود ، ولتصبح عدوته الأولى فى الدنيا هى (مصر) .. (مصر) وحدها .

تمزق قلبه لكلامها ، وهو يهتف :

ـ أيتها اللعينة !

تراجعت مطلقة ضحكة أخرى طويلة ، قبل أن تتابع فى ظفر شامت :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكن فى هذه اللحظة بالتحديد ، وبينما نتحدث هنا ، تلقى محبوبتك (منى توفيق) حتفها غرقًا ، مع (قدرى) وزميل ثالث ، وسط البترول الأسود النقى .. سلاحكم الوحيد أيها العرب .

قاوم قيوده مرة أخرى فى عنف ، وهو يقول :

ـ ستدفعين الثمن يا (سونيا) .. ستدفعين الثمن غاليًا .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ لقد دفعته بالفعل يا (أدهم) .

ثم اكتسى صوتها بصرامة مخيفة ، وهى تضيف :

ـ وحان الوقت لتدفع أنت .

قال فى غضب :

ـ على الرغم من كل ما يحدث هنا ، أؤكد لك أنك لن تربحى هذه المعركة قط يا سنيورا .

هتفت ساخرة :

ـ سنيورا ؟!

ثم انفجرت ضاحكة فى سخرية شامتة ظافرة ، قبل أن تميل نحوه ، قائلة :

ـ خذ هذه المفاجأة الأخيرة ، قبل أن نفترق يا (أدهم) .

وتألقت عيناها فى شدة ، وهى تضيف فى حزم :

ـ إننى لست السنيورا .

ثم عادت تضحك فى سخرية ، قبل أن تهتف :

ـ الوداع يا (أدهم) .. الوداع .

صاح بها فى حدة :

ـ سنلتقى مرة أخرى يا (سونيا) .

أمسكت (سونيا) جهاز تحكم عن بعد ، وهى تقول فى صرامة ساخرة :

ـ ربما فى الجحيم يا (أدهم) .

قالتها ، وضغطت زر جهاز التحكم عن بعد ..

وانفتحت فجوة ، أسفل مقعد (أدهم) مباشرة ..

ومن ارتفاع مئات الكيلومترات ، هوى مقعد (أدهم) من الطائرة ..

نحو المحيط مباشرة .

بلا هوادة ..

وبلا أمل .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

رقم الإيداع : ٣٦١٩